جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

المصباح في تفسير سورة الانشراح

إعداد الدكتور

عبدالرحمن محمد عبدالمتعال

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الثالث والثلاثون، لعام ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٤/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

نَقْـــصُ الْبَشَر

إنّي رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه، إلا قال في غَدِه: لو غُيِّرَ هذا لكان أَحْسَن، ولو زِيدَ كذا لكان يُسْتحْسَن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أَفْضَل، ولو تُرِكَ هذا لكان أَجْمَل. هذا من أعظم العِبَر وهو دليلٌ على اسْتِيلاءِ النَّقْص على جُمْلَة البشر.

القاضى الفاضل عبدالرحيم بن على البيسانى(١)

(٥٢٩ - ٥٩٦ هـ = ١١٣٥ - ١٢٠٠ م)

(١) كان الأستاذ أحمد فريد الرفاعى المتوفَّى سنة ١٣٧٦ هـ هو الذى شَهَر هذه الكلمة حيث وَضَعها أوَّل كل جزء من أجزاء "معجم الأدباء "لياقوت الحموى، وغيره من الكتب – وتداولها عنه الناس – منسوبة إلى العماد الأصفهانى، والصواب نسبتها للقاضى الفاضل بعث بها إلى العماد كما فى أول شرح الإحياء للمرتضى الزبيدى (~) تعالى ١:٣ أفاده الشيخ محمد عوامه فى مقدمة الطبعة الثانية على مسند أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز (ﷺ).

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي، والرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فإنه من المعلوم: أن الله جلت قدرته أكرم نبيه محمدا (ﷺ) وفضله على الخلق كافة، فكان سيدا فى الدنيا رفيع القدر فى الآخرة، لقوله عز شأنه: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ (النساء من الآية: ١١٣).

وأحاطه بجميع سبل العناية حيث قال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور من الآية:٤٨)، وجعله متمكنا من كل خلق كريم فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (القلم: ٤).

وآيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة كلها تشهد بما للرسول (ﷺ) من منزلة لا تدانيها درجة ولا تعدلها منزلة...ومن بين تلك النصوص الشريفة سورة الانشراح حيث تناولت من نعم الله تعالى العديدة على عبده ورسوله محمد (ﷺ)، ومننه العالية التي وُهِبَتْ لأشرف الخلائق (ﷺ).

وقد حاولت أن ألقى الضوء على معاني هذه السورة الكريمة بما يحقق العظة والعبرة، ويبعث الإنسان على الاقتداء والتأسي ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وذلك ما كان منى فى هذا البحث المتواضع وهو يقع تحت عنوان **(المصباح فى تفسير سورة الانشراح)** والذي ضمنته **مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة.**

أما المقدمة: فقد ضمنتها أهمية الموضوع.

وأما **المطلب الأول** فهو بعنوان: **بين يدي السورة**، وفيه مهدت بتعريف السورة في اللغة والاصطلاح، ثم تحدثت عما يأتي: ترتيب السورة حسب النزول، كون

السورة مكية أو مدنية، تسميتها، أغراض السورة ومقاصدها، علاقة السورة بما قبلها وما بعدها، مقاصد السورة، الموضوعات التي اشتملت عليها السورة.

وأما **المطلب الثاني** فهو بعنوان: **التفسير**، وفيه تناولت الآية أو الآيتين، فذكرت العلاقة بينها أو بينهما وبين السابقة عليها، واعرابها اجمالاً ثم على جهة التفصيل، ومعانى المفردات الى غير ذلك من المسائل.

وأما **المطلب الثالث** فهو بعنوان: **المعنى العام للسورة**.

ثم **الخاتمة** وفيها ضمنت أهم النتائج المستخلصة من وراء البحث.

وبعد: فهذا هو جُهْد المُقِل، فإن كان قد رُزِقَ السَّداد والقبول، فمن فضل الله ورحمته، وإن كان غير ذلك فمنى ومن الشيطان ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ (هود : من الآية :٨٨).

الفقير إلى الغنى المتعال

عبد الرحمن محمد عبد المتعال

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن في
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر الشريف

المطلب الأول

بين يـــدى السورة

السورة في اللغة: تطلق ويراد بها المنزلة، والجمع سُوَر، ومنه سور القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى(١).

ويمكن تعريفها اصطلاحا: بأنها طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع.

قالوا: وهى مأخوذة من سورالمدينة، وذلك إما لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة وآية بجانب آية، كالسُّورِ توضع كل لَبِنَةٍ فيه بجانب لَبِنَةٍ، وَيُقَام كل صَفٍّ منه على صَفٍّ.

وإما لما فى السورة من معنى العُلُو والرِّفْعَة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسِّيَّة.

وإما لأنها حصن وحماية لمحمد (ﷺ) وما جاء به من كتاب الله القرآن، ودين الحق الإسلام، باعتبار أنها معجزة تخرس كل مكابر ويحق الله بها الحق ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون، أشبه بسور المدينة يحصنها ويحميها غارة الأعداء وسطوة الأشقياء(٢).

ولاشتمال الحديث عن السورة الكريمة على أمور عدة تتعلق بها، وذلك كترتيبها في المصحف الشريف، وترتيبها بحسب النزول، وكونها مكية أو مدنية، وتسميتها، ومناسبتها لما قبلها من سور القرآن وما بعدها، وأهم أهدافها وأغراضها، والموضوعات التي اشتملت عليها، رأيت من حسن الترتيب أن أتناول هذه الأمور أولا، ثم أشرع فى تفسير آياتها ثانياً.

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ٧ /٢٩٩.

(٢) مناهل العرفان للشيخ الزرقانى: ١/٣٥٠.

أولا: الترتيب المصحفي للسورة الكريمة:

القرآن الكريم مئة وأربع عشرة سورة، يفتتح بسورة الفاتحة ويختتم بسورة الناس، وسورة الشرح هى السورة الرابعة والتسعون في ترتيب المصحف الشريف، تقع ما بين سورتي الضحى والتين.

ثانيا: ترتيب السورة حسب النزول:

يقول الإمام الزركشى نقلا عن أبى القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى([1]).

إن من أشرف موضوعات علوم القرآن، علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداءاً ووسطاً وانتهاءاَ، وترتيب ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بمكة فى أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة... وعَدَّدَ خمسة وعشرين وجهاً، ثم قال: من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم فى كتاب الله تعالى([2]).

وسورة الشرح هى السورة الثانية عشرة فى عداد نزول السور نزلت بعد سورة الضحى، وقبل سورة العصر، يوضح ذلك الإمام السيوطي في حديثه عن ترتيب ما نزل من السور إذ يقول: حدثنا أمية الأزدي عن جابر بن زيد قال: أول ما أنزل الله من القرآن بمكة: "اقرأ باسم ربك، ثم ن والقلم، ثم يا أيها المزمل، ثم يا أيها المدثر، ثم الفاتحة،ثم تبت يدا أبى لهب، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك

---

(١) هو: الحسن بن محمد الحسن بن حبيب بن أيوب أو القاسم النيسابورى الواعظ المفسر، إمام عصره فى معانى القرآن وعلومه، صنف التفسير المشهورن، توفى في ذى الحجة٤٠٦هـ. يراجع: بغية الوعاة: ٥١٩/١، وشذرات الذهب: ١٨١/٣، وطبقات المفسرين للداودى: ١٤٠/١. وطبقات المفسرين للسيوطى: ١١.

(٢) البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى: ٢٨٧/١، تحقيق: د/ زكى أبو سريع، طبع دار الحضارة للنشر والتوزيع، وينظر: الإتقان للسيوطى: ١١/١، طبع دار عالم المعرفة.

الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر([1]) إلى آخر ما قال.

وقد يقال: لِمَ لَمْ يُرَتَّب القرآن الكريم بحسب نزوله على رسول الله (ﷺ)؟

يجيب على ذلك الشيخ محمد المدني بقوله: (ولعل الحكمة في العدول عن كتابة القرآن الكريم على ترتيب نزوله إلى كتابته على هذا الترتيب المعروف أن القرآن الكريم فى عهد رسول الله (ﷺ) كان ينزل منجما على حسب الوقائع والحوادث ومقتضيات الأحوال، فلو أنه جمع على ترتيب نزوله لفهم بعض الناس أن آياته خاصة بحوادثها، أو أنه حلول وقتية للمشكلات التي كانت على عهد رسول الله (ﷺ) فحسب، والله تعالى يريد كتابه عاما خالدا لا يختص بعصر دون عصر، ولا بقوم دون قوم، بذلك قضت الحكمة بأن يرتب ترتيبا يحقق هذا العموم وهذا الخلود، ويبتعد عن الترتيب الزمني الذي نزل به لحكمة كانت مناسبة حين نزوله، ثم إن القرآن كله من أمر الله تعالى نزولا وتفصيلا وترتيبا، وقد بلغه رسول الله (ﷺ) كما أمره الله تعالى، ولو كان لله تعالى أمر يخالف ذلك لبلغه رسول الله (ﷺ)، ولما فات أصحابه، فيكفينا أن نعلم ذلك وأن نلتزم هذا التوقيف من رسول الله (ﷺ)([2]).

---

(١) يراجع: الإتقان في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي: ٣٣/١. طبع دار عالم المعرفة.

(٢) المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء: ١٢.

ثالثا: كون السورة مكية أو مدنية:

سورة الشرح مكية بالاتفاق، صرح بذلك المفسرون فى مقدمة تفسيرهم للسورة الكريمة، ويؤيد ذلك رواية جابر بن زيد السابق ذكرها، ويؤيده أيضا ما ذكره الإمام السيوطى نقلا عن الإمام البيهقي في دلائل النبوة برواية عكرمة والحسن بن أبى الحسن قالا: أنزل الله من القرآن بمكة: اقرأ باسم ربك، ون، والمزمل، والمدثر، وتبت يدا أبى لهب، وإذا الشمس كورت، وسبح اسم ربك الأعلى، والليل إذا يغشى، والفجر، والضحى، وألم نشرح(١).

وذكر قلة من المفسرين منهم الإمام البقاعي(٢) قولا آخر **ضعفه الإمام الآلوسي** بقوله: وزعم البقاعي أنها عنده مدنية، وفى حديث طويل أخرجه ابن مردويه عن جابر بن عبدالله ما هو ظاهر في أن قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أنزل بالمدينة، لكن فى صحة الحديث توقف(٣).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١٣/١، ويراجع: الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: ٢٠ /١٠٤، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتاب العربي ١٩٦٥م، وروح المعاني لشهاب الدين محمود الألوسي: محمود شكرى الألوسي: ٢٠ /١٠٤، الطباعة المنيرية مصر، وفى ظلال القرآن لسيد قطب: ٨ /٦٠٥، دار التراث العربي بيروت لبنان.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسق الآيات والسور للإمام برهان الدين أبى الحسين إبراهيم بن عمر البقاعي: ٢٢ / ١١٦، صححه وعلق عليه: محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري، مكتبة ابن تيمية القاهرة.

(٣) روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي: ٢٩٧/٣٠/١٦، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ونظم الدرر فى تناسب الآيات والسور: ٤٦٠/٨.

رابعا: تسميتها:

قد تسمى السور باسم واحد وهو كثير، وذلك كالسور المسماة بـ ﴿الٓمٓ﴾ أو ﴿الٓرۚ﴾ على القول بأن فواتح السور أسماء لها([١]).

وكما تسمى مجموعة السور باسم واحد تسمى السورة أيضا باسم واحد، وقد يكون لها أسماء عدة، وذلك كسورة البقرة يقال لها: فسطاط القرآن لعظمها وبهائها، ويقال لها: سنام القرآن، وكسورة التوبة يقال لها:براءة، والفاضحة، والحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، وقال ابن عمر: كنا ندعوها المقشقشة، وقال حذيفة: هى سورة العذاب([٢]).

وهذه السورة: سميت فى معظم التفاسير، وفى صحيح البخاري، وجامع الترمذي:" سورة ألم نشرح"، وسميت فى بعض التفاسير: "سورة الشرح"، ومثله فى بعض المصاحف الشرقية تسمية بمصدر الفعل الواقع فيها من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ ومنهم الخطيب الاسكافي([٣])، وفى بعض التفاسير تسمى سورة الانشراح ومنهم الشريف الرضي([٤]).

---

(١) البرهان: ١/٣٩٥، و الإتقان: ١/٧٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/٣٩٥، والإتقان: ١/٧٠.

(٣) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي: ١/ ١٣٦٤ – ١٣٦٥، دراسة وتحقيق: محمد مصطفى آيدين، مطبعة جامعة أم القرى.

(٤) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي: ٣٦٧، تحقيق: محمد عبدالغنى حسن، دار إحياء التراث العربية عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٥ م، والتحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور: ١٥ /٣٠ /٤٠٧، طبع: دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.

هذا وقد كانت العرب تراعى في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادرٍ أو مُسْتَغْرَبٍ يكون في الشئ من خلق أو صفة تخصه، وقد تسمى الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء السور(١).

وقد سميت هذه السورة بسورة الشرح لورود هذا اللفظ في صدرها، ولما امتن به الحق تبارك وتعالى على رسوله الكريم بشرح صدره للقيام بالدعوة خير قيام، وتحمل أعبائها بنفس راضية وقلب مطمئن.

وقد يقال: هل تعداد أسامي السور بتوقيف من الوحي أو باجتهاد من الصحابة؟

يجيب على ذلك الإمام الزركشي فيقول: (إن كان الثاني فلم يعدم الفَطِن أن يستخرج من كل سورة معاني تقتضى اشتقاق أسماء لها وهو بعيد)(٢).

ويفهم من هذا الكلام أن أسماء السور بتوقيف من الوحي، ويذهب الإمام السيوطي إلى هذا الرأي مستندا إلى دليل فيقول: وقد ثبتت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك.

ومما يدل لذلك ما أخرجه ابن أبى حاتم عن عكرمة قال: **كان المشركون يقولون: سورة البقرة وسورة العنكبوت يستهزؤن بها فنزل: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾** (الحجر:٩٥)(٣).

لكن الإمام السيوطي فى كتابه: "التحبير فى علم التفسير" **يذهب إلى رأى آخر** أرى أنه أولى بالقبول إذ يقول: قذ سبق فى حد السورة أنها المسماة توقيفا،

---

(١) الإتقان: ٧٤/١.

(٢) يراجع: البرهان: ٣٩٦/١، والإتقان: ٧٤/١ بتصرف يسير.

(٣) يراجع: الإتقان: ٦٩/١.

فظاهره أنه لايجوز إلا بتوقيف من النبي (ﷺ)، والمراد الإسم الذي تذكر به السورة وَتُشْتَهَر وإلا فقد سَمَّى جماعة من الصحابة والتابعين سوراً بأسماء من عندهم، كما سَمَّى حذيفة التوبة: بالفاضحة وسورة العذاب، وَسَمَّى خالد بن معدان سورة البقرة: بفسطاط القرآن، وسمى سفيان بن عيينة سورة الفاتحة: بالواقية، وسماها يحي بن أبى كثير: الكافية([1])

وبناءً عليه، فتسمية السورة الكريمة بسورة الشرح أو بسورة ألم نشرح أو بسورة الانشراح، تسمية توقيفية وليست اجتهادية، فالأسماء المذكورة وإن اختلفت فى مبناها إلا أنها جميعاً تؤول إلى معنى واحد.

خامسا: أغراض السورة ومقاصدها:

ومقصود السورة : تفصيل ما فى آخر الضحى من النعمة.

يقول الإمام البقاعى: إن المراد بالتحديث بها هو شكرها بالنَّصَبِ فى عبادة الله والرَّغْبَةِ إليه بتذكر إحسانه وعظيم رحمته بوصف الربوبية وامتنانه، وعلى ذلك دَلَّ اسمها ([2]).

ويقول الشيخ الطاهربن عاشور: فمضمونها شبيه بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتا له بتذكيره سالف عنايته به، وإنارة سبيل الحق وترفيع الدرجة ليعلم أن الذي ابتدأه بنعمته ما كان ليقطع عنه فضله، وكان ذلك بطريقة التقرير بماض يعلمه النبي (ﷺ) وأتبع ذلك بوعده بأنه كلما عرض له عسر فسيجد من أمره يسراً، فليتحمل متاعب الرسالة ويرغب إلى عونه([3]).

---

(١) التحبير فى علم التفسير: ٣٦٩.

(٢) نظم الدرر: ٨/٤٦٠.

(٣) التحرير والتنوير: ١٥/٣٠/٤٠٧ – ٤٠٨.

سادسا: علاقة السورة - مناسبتها(١) - بما قبلها وما بعدها:

وهذا ماسيكون على الترتيب التالى:

(أ) علاقة السورة بما قبلها:

نزلت السورة الكريمة بعد سورة الضحى، وبلغت من التناسب ما أدى إلى الظن بأنهما سورة واحدة، إذ روى عن طاووس وعمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنهما) أنهما: كانا يقولان هذه السورة وسورة الضحى سورة واحدة، وكانا يقرآنهما فى الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم (٢) وعلى ذلك الشيعة (٣).

وقد عَلَّل الرازي ظَنَّهم بقوله: "والذى دعاهم إلى ذلك هو أن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ كالعطف على قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ وليس كذلك، لأن الأول كان نزوله حال اغتمام الرسول (ﷺ) من إيذاء الكفار فكانت حالة محنة وضيق

---

(١) المناسبة لغة: مصدر من ناسب يناسب مناسبة، ومادة: النون، والسين، والباء تدور حول معنى: اتصال شيء بشيء، ومنه النسب، وسمى لاتصاله والاتصال به، تقول: فلان نسيب فلان، تعنى: أنه متصل به بنوع قرابة. فالمناسبة لغة: المقاربة. وفى الاصطلاح العام: المناسبة هى علة الترتيب، وعند علماء القرآن العظيم: مناسبات القرآن العظيم هى: علل ترتيب أجزائه بعضا ببعض، أو بعبارة أخرى: مناسبات القرآن العظيم هى: المعنى الذي يربط بين سوره وآياته. ينظر: علم المناسبات فى السور والآيات للإمام جلال الدين السيوطي: ٧٤.

(٣) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي: ٣٢ / ٢، دار الكتب العربية طهران.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن للفضل بن الحسن الطبرسي: ١٠ /٣٤٤، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، وروح المعاني: ٣٠ /١٦٥.

صدر، والثاني يقتضى أن يكون حال النزول منشرح الصدر طيب القلب فأنى يجتمعان"(١)، "وأما مشابهة جملة السورة للأخرى كانت أحد أسباب قولهم بأن وضع السور فى المصحف توقيفى صادر عن حكيم"(٢).

وروى البقاعى عن أبى جعفر بن الزبير قوله: بأن معنى هذه السورة من معنى السورة قبلها، وحاصل السورتين تعداد نعمه (ﷻ) على رسوله (ﷺ)(٣)، فعلاقة هذه السورة بما قبلها تتلخص بأنه تعالى أمر رسوله (ﷺ) آخر الضحى بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه وَفَصَّلَها فى هذه السورة.

وقد ربط سعيد حوى بين سورة الشرح والسور الخمس السابقة لها، فهذه السور الست قد فصلت الطريق للتقوى فأقامت بمجموعها صرحاً جديدا في التقوى وتحرير الإنسان من الكفر، ولما كانت السور الخمس المبدوءة بقسم تفصل فى مقدمة البقرة فإن سورة الشرح تفصل فيما بعد المقدمة مباشرة أى فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (البقرة:٢١) وهذه الآية تأمر بالعبادة، وفى سورة الشرح قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ (الشرح:٧- ٨)، وهكذا فإن سورة الشرح تُبَيّن طريق التقوى التى فُصِّلت في السور الخمس السابقة لها، وتبين أن طريق التقوى هو العبادة من صلاة ودعاء.(٤)

هذا وقد جرت عادة بعض المفسرين – من القدامى والمحدثين كما سبق – أن يعقدوا مناسبة بين السورة وبين سابقتها، ولعل أكثرهم توسعا فى ذلك الإمامان الآلوسي والبقاعي.

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ٣٢ / ٢، دار الكتب العربية طهران، وينظر: روح المعاني: ٣٠ / ١٦٥.

(٢) ينظر: الإتقان للسيوطى: ٢/ ١١٢، مطبعة البابي الحلبي مصر ١٩٥١ م.

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٢٢ /١١٩.

(٤) ينظر: الأساس في التفسير لسعيد حوى: ٦٥٧٧/١١، ٦٥٨٠، طبع: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.

فقال الإمام الآلوسي في مناسبة هذه السورة لسورة الضحى السابقة عليها: وهى شديدة الاتصال بسورة الضحى حتى إنه روى عن طاوس وعمر بن عبدالعزيز: أنهما كانا يقولان هما سورة واحدة، وكانا يقرآنهما فى الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم، وعلى ذلك الشيعة **كما حكاه الطبرسى** منهم قال الإمام: والذي دعا إلى ذلك هو **أن قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ كالعطف على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ وليس كذلك، لأن الأول كان عند اغتمام الرسول (ﷺ) من إيذاء الكفرة وكانت الحالة حال محنة وضيق، والثاني يقتضى أن يكون حال النزول منشرح الصدر طيب القلب فأنى يجتمعان وفيه نظر، والحق أن مدار مثل ذلك الرواية لا الدراية، والمتواتر كونهما سورتين والفصل بينهما بالبسملة، نعم هما متصلتان معنى جداً ويدل عليه ما فى حديث الإسراء الذي أخرجه ابن أبى حاتم أن الله تعالى قال له (ﷺ): **« يا محمد ألم أجدك يتيما فأويت، وضالا فهديت، وعائلا فأغنيت، وشرحت لك صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معى...» الحديث**(١).

وقال الإمام البقاعى: لما أمره آخر الضحى بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه فَصَّلَها فى هذه السورة، فقال مثبتاً لها في استفهام إنكاري مبالغة في إثباتها عند من يُنْكرها، والتقرير بها مُقَدّماً الْمِنَّة بالشرح في صورته قبل الإعلام بالمغفرة، كما فعل ذلك فى سورة الفتح الذى هو نتيجة الشرح، لتكون البشارة بالإكرام أولا لافتاً القول إلى مظهر العظمة تعظيماً للشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ أي شرحاً يليق بعظمتنا ﴿لَكَ﴾(٢) أي خاصة.

---

(١) روح المعاني: ١٦ /٣٠ /٢٩٧ – ٢٩٨.

(٢) نظم الدرر: ٨/٤٦٠.

(ب) علاقة السورة بما بعدها:

عن علاقة السورة بما بعدها تحدث البقاعي قائلا: إن مقصود سورة التين مقصود سورة الشرح، وذلك هو إثبات القدرة الكاملة بالشرح ووضع الوزر ورفع الذكر والتبشير باليسر كما فيى خلق التين النبوات من الغرائب ما يدل على ذلك، وكذا بما أشير إليه بذلك من النبوات وضم القسم إلى المقسم عليه وهو الإنسان الذي هو أعجب ما فى الأكوان... وهكذا فإن مقصود السورتين هو إثبات القدرة الكاملة لله تعالى.(١)

ويقول سعيد حوى: إن سورة الشرح انتهت بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ وسورة التين يأتى فيها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين: ٤ . ٦)، فالصلة واضحة بين نهاية سورة الشرح وبداية سورة التين، فسورة الشرح تأمر بالعمل الصالح، وسورة التين تبين أنه لاخلاص إلا بالإيمان والعمل الصالح.(٢)

ويوجد هنا سؤال: لِمَ لَمْ ينسق النعم فى سورة واحدة ففصلها فى سورتين (الشرح والضحى) مع أن حاصل السورتين تعديد النعم؟

والجواب: إنه فعل ذلك لأن المعهود فى البشر فى من عَدَّد على ولده أو عبده نعما أن يذكر له أولا ما شاهد الحصول عليه، فإذا استوفى له ذلك أتبعه بذكر نعم ابتدائية قد كان ابتداؤه بها قبل وجوده كقول الأب مثلا لابنه: ألم أختر لأجلك الأم والنفقة حيث استولدتك وأعددت من مصالحك كذا وكذا، ونظيره قوله سبحانه لزكريا (عليه السلام): ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٢٢ /١٣٠.

(٣) ينظر: الأساس فى التفسير: ١١ /٦٥٨٩.

سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ (مريم: ٧ – ٩)، فقال: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ وقد قدم له ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ كذلك عدد فى سورة الضحى من النعم ما شاهد الحصول عليه من مراجعة الوحى وإيوائه وهو يتيم إذ تكفله جده، وهدايته بعد ضلاله إلى آخره، ثم ذكر فى هذه السورة نعما كان ابتداؤه بها من شرح للصدر، ووضع للوزر ورفع للذكر، والله تعالى أعلم.(١)

ولابد من الإشارة إلى أنه قد ناسب ابتداء السورة تعديد النعم، فذكر أولا شرح الصدر وراحة البال، ثم تخفيف الحمل، ووضع العبء، ثم بعد هذا ذكر رفع القدر، وهو تعديد رَاعَى فيه الأهم فالمهم، فالأهم هو راحة النفس، وفراغ البال، ثم يأتى بعده التخلص من ثقل المشقة ثم رفع الذكر، ثم إنه بعد هذا أراد أن يتم نعمته على عبده فبشره بيسر قريب عظيم، وبعد أن عدد عليه نعمه فى هذه السورة، والسورة قبلها، بعثه على شكرها، وطلب إليه الاجتهاد فى العبادة، والله أعلم.

(١) ينظر: نظم الدرر: ٢٢ /١١٩.

(ت) علاقة فاتحة السورة بخاتمتها:

لقد تحدث البلاغيون عن التأنق فى أول الكلام، لأنه أول ما يقرع السمع فأتت فواتح السور على أحسن الوجوه وأكملها فكانت على عشرة أنواع من الكلام، منها: الاستفهام وجاء فى ست سور: هل أتى (الإنسان)، عم يتساءلون (النبأ)، هل أتاك(الغاشية)، ألم نشرح (الشرح)، ألم تر (الفيل)، أرأيت (الماعون).

ولما كان افتتاح السورة بذكر نعم الله تعالى على رسوله (ﷺ) وتعداد أفضاله ناسب أن تختتم بالندب على شكر نعمه والاجتهاد فى عبادته واتصل الكلام الآخر بالأول اتصال المعلول بالعلة(١).

سابعا: مقاصد السورة(٢):

١- استحضار مواقع العناية واستعراض مظاهر الرعاية من خلال مناجاة الحبيب فى ظل العطف والندى.

٢- فيها البشرى باليسر والفرح.

٣- التوجيه إلى اليسر وحبل الاتصال الوثيق بالعبادة والتجرد والتطلع والتوجه إلى الله وحده.

٤- توحى بأن صدره الشريف (ﷺ) كان مثقلا بهموم الدعوة، فنكاد نلمس ما ساور قلبه الكريم فى تلك الآونة مما اقتضى ذلك الود الجميل من ربه الودود الرحيم.

ثامنا: الموضوعات التى إشتملت عليها السورة:

---

(١) ينظر: نظم الدرر:١٢٨/٢٢، والبرهان فى علوم القرآن: ١٨٠/١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابى الحلبى، ومعترك الأقران فى إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطى:٨/١، نحقيق:على محمد البجاوى، مطبعة دار الفكر العربى.

(٢) ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم:١٢٤ . ١٢٧.

تناولت السورة الكريمة الحديث عن نعم الله العديدة على عبده ورسوله محمد (ﷺ)، **وذلك** بشرح صدره بالإيمان، وتنوير قلبه بالحكمة والعرفان، وتطهيره من الذنوب والأوزار، وكل ذلك بقصد التسلية لرسول الله (ﷺ) عما يلقاه من أذى الفجار ن وتطييب خاطره الشريف بما منحه الله من الأنوار: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾.

ثم تحدثت عن إعلاء منزلة الرسول، ورفع مقامه فى الدنيا والآخرة، وقرن اسمه (ﷺ) باسم الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

وتناولت السورة دعوة الرسول (ﷺ) وهو بمكة يقاسى مع المؤمنين الشدائد والأهوال من الكفرة المكذبين، فآنسه بقرب الفرج وقرب النصر على الأعداء: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾

وختمت بالتذكير للمصطفى (ﷺ) بواجب التفرغ لعبادة الله بعد انتهائه من تبليغ الرسالة شكراً لله على ما أولاه من النعم الجليلة: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

المطلب الثاني

التفسير

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

الآية الأولى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾

هذه السورة الكريمة كما سبق أن بينت كأنها امتداد للسورة السابقة وتكملة لها، فلما ذكر بعض النعم عليه بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ أتبعه بما هو كالتتمة له وهو شرح الصدر فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾.

﴿أَلَمْ﴾ الألف التقرير بلفظ الاستفهام، و"لم" حرف جزم "نشرح" جزم بـ لم " لك صدرك" الكاف جر باللام الزائدة، وهو اسم محمد (ﷺ)، "صدرك" مفعول به والكاف فى صدرك جر بالإضافة، وفتحت الكاف لأنها خطاب المذكر.(١)

﴿أَلَمْ﴾ استفهام تقريرى دخل على النفى فقرره، فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فصار المعنى: قد شرحنا لك صدرك، فمعنى الاستفهام: إنكار نفى الانشراح مبالغة فى إثباته، ولذلك عطف عليه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾(٢).

﴿أَلَمْ﴾ الهمزة للتقرير، ولم حرف نفي وجزم وقلب، ﴿نَشْرَحْ﴾ فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: "نحن".

﴿لَكَ﴾ اللام حرف جر مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والكاف: ضمير مخاطب مبني على الفتح في محل جر باللام، وضمير المخاطب المعني به رسول الله (ﷺ).

﴿صَدْرَكَ﴾ "صدر": مفعول به لـ: ﴿نَشْرَحْ﴾ منصوب بالفتحة الظاهرة لأنه اسم مفرد، "صدر": مضاف، والكاف مضاف إليه، ضمير مبني على الفتح في محل جر بإضافة صدر إليه.

---

(١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن:١٢٤.

(٢) تفسير الكشاف: ٤/٢٢٠ – ٢٢١، طبع: دار عالم المعرفة ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى: ٥/ ٥٠٤، طبع:دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، والفتوحات الإلهية: ٤/٥٥٤، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بتصرف.

﴿نَشۡرَحۡ﴾: (أصل الشرح وحقيقته: فصل أجزاء اللحم بعضها عن بعض، يقال: شَرَحَ اللحم وشَرَّحه: قَطَّعَه قِطَعاً طوالاً رِقَاقاً، ومنه الشريحة للقطعة المرققة من اللحم وغيره.

ومنه شرح الصدر: أي بَسْطه بنور إلهى وسكينة من جهة الله، يقال: شرح الله صدره لقبول الخير يشرحه شرحا فانشرح: وَسَّعَه لقبول الحق فاتسع، وفى التنزيل العزيز قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾ **(طه: ٢٥)، وفيه:** ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ **(الأنعام:٢٥))**(١).

وقال الإمام الآلوسى: (الشرح فى الأصل: الفسح والتوسعة، وشاع استعماله في الإيضاح، ومنه شَرَح الكتابَ إذا أوضحه، لما أن فسح الشيء وبسطه مستلزم لإظهار باطنه وما خفى منه، وكذا شاع فى سرور النفس حتى لو قيل أنه حقيقة عرفية فيه لم يبعد، وذلك إذا تعلق بالقلب كأنه قيل شرح قلبه بكذا أى سَرَّه به(٢).

﴿لَكَ﴾: اللام فى قوله: ﴿لَكَ﴾ لام التعليل، وهو يفيد تكريما للنبى (ﷺ) بأن الله فعل ذلك لأجله(٣)، والكاف فى موضع جر باللام(٤).

---

(١) يراجع: المعجم الوسيط:٤٧٧/١ – ٤٧٨، والمفردات فى غريب القرآن مادة "شرح": ٢٥٨، ولسان العرب مادة "الشرح": ٥٠/٨،والجامع لأحكام القرآن: ٢٠ /١٠٤، والتفسير الكبير: ٢/٣٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى: ١٨٩/٥، وروح البيان لإسماعيل حقى: ٤٢٦/١٠، وتفسير التحرير والتنوير: ١٥ /٤٠٨.

(٢) روح المعانى: ١٦ /٣٠ /٢٩٨.

(٣) التحرير والتنوير: ١٥ / ٣٠ /٤٠٩.

(٤) إعراب القرآن: ٢٥١/٥.

وفى ذكر الجار والمجرور قبل ذكر المشروح سلوك طريقة الإبهام للتشويق، فإنه لما ذكر فعل ﴿نَشْرَحْ﴾علم السامع أن ثم مشروحا، فلما وقع قوله: ﴿لَكَ﴾ قوى الإبهام فزاد التشويق، لأن ﴿لَكَ﴾ يفيد معنى شيئا لأجلك(١).

ولما عين المشروح له، فكان المشروح مبهما، فزاد تشوق النفس إليه، بَيَّنَه ليكون بيانا بعد إبهام، فيكون أعظم فى التنويه به، وأجل فى التعريف بأمره فقال(٢): ﴿صَدْرَكَ﴾ منصوب بـ ﴿نَشْرَحْ﴾، والصَّدْر مُقَدِّم كل شيء. يقال: صدر الكتاب، وصدر النهار، وصدر الأمر.

وصدر الإنسان: الجزء الممتد من أسفل العنق إلى فضاء الجوف، وهو الباطن الحاوي للقلب، وسُمِّيَ القلب صدرا لحلوله به، وفى التنزيل العزيز: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران:٢٩)(٣).

وتدور أقوال المفسرين في المراد بالشرح حول معنيين هما:

إما أن يكون الشرح شرحا بدنيا ويوضحه قول الشيخ الطاهر بن عاشور: (وروى عن ابن عباس أنه فسر به وهو ظاهر صنيع الترمذي إذ أخرج(٤) حديث شق الصدر في تفسير هذه السورة، فتكون الآية إشارة إلى مرويات في شق صدره (ﷺ) شقا قدسيا، وهو المروى بعض خبره في الصحيحين(٥) ، والمروى مطولا فى

---

(١) التحرير والتنوير: ٤٠٩/٣٠/١٥.

(٢) نظم الدرر: ٤٦٠/٨.

(٣) يراجع: المعجم الوسيط: ٥٠٩/١، وتفسير التحرير والتنوير: ٣٠/١٥ /٤٠٨ بتصرف.

(٤) يراجع: سنن الترمذى: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ألم نشرح: ٢٧٣/٥ –٢٧٤ حديث رقم: ٣٣٤٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، طبع دار الحديث القاهرة.

(٥) الحديث الذى أخرجه الإمام الترمذى كما سبق أخرجه أيضا الإمام البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم: ٣٢٠٧، وفى كتاب: المناقب برقم:٣٨٨٧، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم: ١٦٤.

السيرة والمسانيد، فوقع فى بعض الروايات فى الصحيحين أنه: كان فى رؤيا النوم ورؤيا الأنبياء وحى، **وفى بعضها** أنه: كان يقظة وهو ظاهر ما فى البخارى(١) ، وفى صحيح مسلم أنه يقظة وبمرأى من غلمان أترابه، وفيه عن أنس بن مالك أنه قال: رأيت أثر الشق فى جلد صدر النبى (ﷺ)(٢)، وفى بعض الروايات: أن النبى (ﷺ) بين النائم واليقظان، والروايات مختلفة فى زمانه ومكانه مع اتفاقها على أنه كان بمكة، **واختلاف الروايات** حمل بعض أهل العلم على القول بأن شق صدره الشريف تكرر مرتين إلى أربع، منها حين كان عند حليمة، وفى حديث عبدالله بن أحمد بن حنبل أن الشق كان وعمر النبي (ﷺ) عشر سنين.

والذي في الصحيح عن أبى ذر أنه كان عند المعراج به إلى السماء(٣)، ولعل بعضها كان رؤيا وبعضها حساً(٤).

وإما أن يكون الشرح فى الآية الكريمة شرحا معنويا، وقد اختلف أصحاب هذا القول فى المعنى المراد من شرح الصدر، **وفيما شرح صدره على أقوال:**

أولها: (أن معنى شرحنا لك صدرك: أي فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا، أو حتى احتمل المكاره التى يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم، أو فسحنا لما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا هذا الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل، وعن الحسن: ملىء حكمة وعلما)(٥).

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات فى الإسراء: ١٣٥١/١ برقم ٣٤٢، طبع: دار ابن كثير، اليمامة بيروت.

(٢) صحيح مسلم: باب الإسراء برسول الله (ﷺ): ١٠١/١رقم:٤٣١، طبع دار الجيل بيروت.

(٣) ينظر: صحيح مسلم: ١٠٢/١ حديث رقم: ٤٣٣.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٠/١٥ /٤٠٩.

(٥) تفسير الكشاف: ٤ /٢٢٠ – ٢٢١.

ثانيها: أن شرح الصدر عبارة عما جاء فى جواب رسول الله (ﷺ) حين سئل أينشرح الصدر قال نعم قالوا: ووما علامة ذلك؟ قال: «**التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإعداد للموت قبل نزوله**»(١).

ثالثها: أن المراد شرح الصدر للإسلام، لأن الانتفاع الكامل لا يحصل إلا به كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ **(الزمر: ٢٢)** أى: وسعه لقبول الحق وفتحه للاهتداء إلى سبيل الخير، قال السدى: وسع صدره للإسلام للفرح والطمأنينة إليه، والمعنى: أفمن وسع الله صدره للإسلام فقبله واهتدى بهديه ﴿فَهُوَ﴾ بسبب ذلك الشرح ﴿عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ يفيض عليه كمن قسا قلبه لسوء اختياره، فصار فى ظلمات الضلالة وبليات الجهالة(٢).

رابعها: قال سهل بن عبدالله التسترى: شرح صدره بنور الرسالة، **قال صاحب التحرير والتنوير:** وعلى هذا الوجه حمله كثير من المفسرين ونسبه ابن عطية إلى الجمهور(٣).

خامسها: أن شرح الصدر كناية عن الإنعام هليه بكل ما تطمح إليه نفسه الزكية من الكمالات، وإعلامه برضى الله عنه، وبشارته بما سيحصل للدين الذى جاء به من النصر(٤) .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى: ٤٩٠/٣٢/١٦ – ٤٩١، طبع: دار الغد العربى، وينظر: جامع البيان للطبرى: ٨ /٢١، دار المعرفة.

(٢) تفسير فتح القدير للشوكانى: ٤ /٤٥٨.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية: ٤٦٧/٥، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٤) التحرير والتنوير: ١٥/ ٣٠ /٤٠٨.

وأعتقد أن هذا الوجه يشمل ما تقدم من الوجوه بل ويزيد عليها، **أما الوجه الأول:** الذى فسر الشرح فى الآية بما حدث للرسول (ﷺ) من قصة شق صدره الشريف (ﷺ)، وما جاء فيه من مرويات تدعمه.

هذا، وإن علق عليه بعض المفسرين بالضعف، **فقال الألوسى:** (نعم حمل الشرح فى الآية على ذلك الشق ضعيف عتد المحققين)(١) ، **وعلق بعضهم على الأخبار المروية فيه بقوله:** (وليس فى شىء من هذه الأخبار على اختلاف مراتبها ما يدل على أنه الشرح المراد فى الآية إلا أن منهم من جمع بين المعنيين.

فقال الشيخ الطاهر بن عاشور: (وكلا المعنيين للشرح يفيد أنه إيقاع معنى عظيم لنفس النبى (ﷺ) إما مباشرة وإما باعتبار مغزاه كما لا يخفى)(٢).

وقال الإمام ابن كثير: (وهذا وإن كان واقعا ليلة الإسراء كما رواه مالك بن صعصعة(٣)، ولكن لا منافاة فإن من جملة شرح صدره، الذى فعل بصدره ليلة الإسراء وما نشأ من الشرح المعنوى أيضاً)(٤).

ثم ههنا سؤالان:

الأول: لِمَ ذكر الصدر ولَمْ يذْكُر القلب؟

---

(١) روح المعانى: ١٦ / ٣٠ / ٣٠١.

(٢) التحرير والتنوير: ١٥ / ٣٠ /٤٠٩.

(٣) صحيح ابن حبان: ١/ ٢٣٦ برقم: ٤٨، تحقيق: شعيب الأرؤوط، طبع مؤسسة الرسالة.

(٤) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير: ٤ / ٥٢٤، مكتبة التراث الإسلامى، حلب، وقد أخرج الحديث الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ج٣= =ص١١٣، برقم (٣٠٣٥)، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج ج٣ ص١٤١٠، برقم (٣٦٧٤) عن مالك بن صعصعة.

والجواب: لأن الصدر محل الوسوسة على ما قال: ﴿يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ **(الناس: ٥)** فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعى الخير هى الشرح، فلا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب.

وقال محمد بن على الترمذى: القلب محل العقل والمعرفة، وهو الذى يقصده الشيطان فيجىء أولا إلى الصدر الذى هو حضن القلب فإذا وجد مسلكا نزل فيه هو وجنده وبث فيه الغموم والهموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للإسلام حلاوة وإذا لم يجد مسلكا وطرد العدو فى الابتداء منع وحصل الأمن وانشرح الصدر وزال الضيق وتيسر له القيام بأداة العبودية.

السؤال الثانى: لمَ قال: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ ولم يقل: ألم نشرح صدرك؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: كأنه تعالى يقول: لام بلام، فأنت إنما تفعل جميع الطاعات لأجلى كما قال: ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ **(الذاريات: ٥٦)**، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ **(طه: ١٤)** فأنا أيضا جميع ما أفعله لأجلك.

وثانيهما: أن فيها تنبيها على أن منافع الرسالة عائدة عليه (ﷺ) كأنه يقول: إنما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلى.

السؤال الثالث: لِمَ قال: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ﴾ وَلَمْ يقل: ألم أشرح؟

والجواب: أنه قال: ﴿نَشۡرَحۡ﴾ دون أشرح: بأن حُمِلَ على نون التعظيم فالمعنى أن عظمة المُنْعِم تدل على عظمة النِّعْمَة، وإن حُمِلَ نون الجميع فالمعنى كأنه تعلى يقول: لم أشرحه وحدى بل أعملت فيه ملائكتى فكنت ترى الملائكة حولك

وبين يديك حتى يقوى قلبك فأديت الرسالة وأنت قوى القلب(١)، وهذا الإعمال للتكريم.

لطيفة:

ذكر الإمام الآلوسى لطيفة بديعة فى الفرق بين قول سيدنا موسى (عليه السلام) لربه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ ﴾ **(طه: ٢٥)**، وقوله تعالى لسيدنا محمد (ﷺ) ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ ﴾ حيث قال: (ولايخفى ما بين قول موسى (عليه السلام) لربه (عز وجل): ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ ﴾ **وقول الرب لحبيبه** (ﷺ): ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ ﴾ ويعلم منه أن الكليم موسى (عليه السلام) مريد والحبيب (ﷺ) مراد والفرق مثل الصبح ظاهر)(٢).

الآيتان الثانية والثالثة: ﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ ﴾

ولما كانت سعة الصدر بالعلم والحكمة وغيرها من الأمور هى الجمال باجتماع المحاسن، وكان الجمال بجمع المحاسن لا يكمل إلا إذا حمع إلى الجمال والجلال بانتفاء الرذائل، قال عاطفا عليه(٣) ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾﴾.

﴿وَوَضَعۡنَا﴾ الواو حرف نسق، "وضع " فعل ماض، والنون والألف اسم الله تعالى فى موضع رفع، و﴿عَنكَ﴾ الكاف جر بعن، و﴿وِزۡرَكَ﴾ مفعول به، والوزر:

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى: ١٦ / ٤٩١ – ٤٩٢ بتصرف.
(٢) روح المعانى: ١٦ / ٣٠ / ٢١٣.
(٣) نظم الدرر: ٨ /٤٦١.

الثقل، و﴿ٱلَّذِىٓ﴾ نعت للوزر، ﴿أَنقَضَ﴾ فعل ماض وهو صلة الذى، و﴿ظَهْرَكَ﴾ مفعول به.(١)

﴿وَوَضَعْنَا﴾ الواو حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والجملة معطوفة على ما قبلها، والتقدير: "قد شرحنا لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك"، و﴿عَنكَ﴾ عن حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب، والكاف ضمير المخاطب اسم مبني على الفتح في محل جر بعن، والجار والمجرور متعلق بالفعل "وضعنا"، ﴿وِزْرَكَ﴾مفعول به لوضعنا منصوب بالفتحة الظاهرة لأنه اسم مفرد، ورز مضاف والكاف مضاف إليه ضمير مبني على الفتح في محل جر بالإضافة.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾معطوف علي معنى ما تقدم لا على لفظه، أى: قد شرحنا لك صدرك ووضعنا...الخ، فحمل الثانى على معنى الأول على ظاهر اللفظ، لأنه لو كان معطوفا على ظاهره لوجب أن يقال: ونضع عنك وزرك(٢).

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ الذي اسم موصول صفة لوزرك مبني على السكون في محل نصب ﴿أَنقَضَ﴾ فعل ماضي مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً ؛ تقديره: هو، "ظهر" مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، "ظهر" مضاف والكاف ضمير المخاطب مبني على الفتح في

---

(١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ١٢٥ – ١٢٦.

(٢) تفسير فتح القدير: ٥ / ٤٦١، والتفسير الكبير للفخر الرازى: ١٦ /٣٢ / ٤٩٢.

محل جر بإضافة ظهر إليه، والجملة من الفعل والفاعل والمفعول به صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

وإنما عبر بالوضع، لأن الوضع فى أصله اللغوي يتضمن عدة معان تفيد انتفاء الوزر عنه بالكلية، فالوضع فى اللغة يعنى: الحط، والإسقاط، والإزالة، يقال: وضع عنه الأمر: أسقطه.

ووضع الشىء: ألقاه من يده وحطه، وهو ضد الرفع، ويقال فى الحَمْل والحِمْل(١).

كما يلاحظ أن لفظة "الوضع" هى أقرب الألفاظ الدالة على عصمته (ﷺ) من الذنوب وذلك بالدلالة المجازية، فـ (الله (ﷻ) عبر عن العصمة بالوضع لأن الذنب يثقل الظهر بعقابه، وبالندم عليه فى حالة التوبة منه، والعصمة لكونها تمنع وقوع الذنب تريح صاحبها من ثقل عقابه، ومن ثقل الندم عليه، فعبر عنها بالوضع لذلك)(٢).

و﴿عَنكَ﴾ متعلق بـ ﴿وَوَضَعْنَا﴾، **وتقديمه** على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لتعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر، ولما أن فى وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه يُخِلُّ بتجاوب أطراف النظم الكريم(٣).

و(الوزر): الحرج، والحِمْلُ الثقيل، والذنب لِثِقلَهِ، يقال: وَزَرَ يَزِرُ إذا حمل ما يثقل ظهره من الأشياء المُثْقِلَة ومن الذنوب، وفى التنزيل العزيز: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

(١) المعجم الوسيط: ٢ / ١٠٣٩، والمفردات للراغب: ٥٢٥ بتصرف.

(٢) ينظر: خواطر دينية لعبد الله الغمارى: ١٧٨.

(٣) إرشاد العقل السليم للعلامة أبى السعود: ٥ /٨٨٢، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (فاطر: ١٨)، أى: لايؤخذ أحد بذنب غيره ولا تحمل نفس آثمة وزر نفس أخرى(١).

ومن يتتبع لفظة (وزر) فى القرآن الكريم يتأكد له أن المعنى الملحوظ فيها هو ثقل الحمل والعبء، ويؤيده فى ذلك اقترانها بلفظ (وضع) الذى يظهر فى غالب استعماله أنه جاء للتخفيف...، والآيات التى ورد فيها لفظ الوزر مكية إلا آية واحدة هى مدنية وقد جاءت مع الحرب: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾(محمد: ٤) أما بقية الآيات فقد غلب على استعمالها معنى الثقل المجهد كما تؤيده فى سورة الشرح الآية بعده ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾.

ومعنى أنقض فى اللغة أثقل، وأنقض الحمل ظهره: أثقله وجعله ينقض من ثقله أى يصوص(٢)، **ويصرح الراغب** بأن حقيقة الانتقاض ليس الصوت وإنما هو انتقاضها فى نفسها لكى يكون منها الصوت فى ذلك الوقت فعبر عن الصوت به، ونقض المفاصل صوتها.(٣)

والإنقاض: حصول النقيض: وهو صون فقرات الظهر، وقيل: صوت الجمل أو الرحل أو المركوب إذا ثقل عليه، فالإنقاض التثقيل فى الحمل حتى يسمع له نقيض، أى صوت.

وقال ابن عرفة: هو إثقال يجعل ما حمل عليه نقضا، أى مهزولا ضعيفا (٤).

---

(١) لسان العرب: ١٥ / ٢٠٢.

(٢) لسان العرب: نقض).

(٣) ينظر: المفردات فى غريب القرآن: (نقض).

(٤) تفسير القاسمى: ١٠/١٧/١٨٤ – ١٨٥.

وإنما عبر بـ ﴿أَنقَضَ﴾ دون "أثقل": لأن **﴿أَنقَضَ﴾** معناه أوسع من "أثقل"، **يقول الخازن: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾** أى أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض، وهو الصوت الخفى الذى يسمع من الحمل أو من الرحل فوق البعير(١).

ويقول الإمام الرازى: (وأما قوله: **﴿أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾**، فقال علماء اللغة: الأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحمل سمع له نقيض أى صوت خفى، وهو صوت المحامل والرحال والأضلاع أو البعير إذا أثقله الحمل فهو مثل لما كان يثقل عن رسول الله من أوزاره)(٢).

فـ ﴿أَنقَضَ﴾ تعطى فوق معنى الثقل معنى آخر وهو الصوت الناتج عن الحمل الشديد، **وقد لفت الإمام البقاعى النظر** إلى هذه اللطيفة عند تفسيره هذه الآية حيث قال: **﴿وَوَضَعۡنَا﴾** أى حططنا وأسقطنا وأبطلنا حطا لا رجعة له ولا فيه بوجه بمالنا من العظمة، مجاوزا عنك وزرك أى حملك الثقيل الذى لا يستطاع حمله، ولذلك وصفه بقوله: **﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾** أى جعله وهو عماد بدنك تصوت مفاصله من الثقل كما يصوت الرجل الجديد إذا لذ بالحمل الثقيل)(٣).

ومعنى ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾: أى حططنا عنك حملك الثقيل الذى أثقل أثقل وأوهن ظهرك(٤).

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن: ٧ / ٢٦٢، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى: ٤٩٢/١٦.

(٣) نظم الدرر:٨ /٤٦١.

(٤) صفوة التفاسير للصابونى: القسم العشرون، تفسير جزء عم: ٧٤.

واختلفت أقوال المفسرين فى المراد بالحِمْل الذى أنقض ظهر رسول الله (ﷺ)، وفى المراد بوضعه.

وأول هذه الأقوال قول قتادة: (كان للنبى (ﷺ) ذنوب سلفت منه فى الجاهلية قبل النبوة وقد أثقلته، فأخبر الله (ﷻ) أنه غفر لنبيه (ﷺ) أوزاره التى كانت تراكمت على ظهره حتى أثقلته)(١).

ورد هذا القول محمد بن مكرم فقال: هذا القول فيه تَسَمُّح فى اللفظ وإغلاظ فى النطق، ومن أين لسيدنا رسول الله (ﷺ) أوزار تتراكم على ظهره الشريف حتى تثقله أويسمع لها نقيض، وهو السيد المعصوم عن ذلك (ﷺ)؟ ولو كان، وحاش لله، يأتى بذنوب لم يكن يجد ثقلا، فإن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإذا كان غفر له ما تأخر قبل وقوعه فأين ثقله كالشر إذا كفاه الله قبل وقوعه فلا صورة له ولا إحساس به، ومن أين للمفسر لفظ المغفرة هنا، وإنما نص التلاوة: ﴿وَوَضَعْنَا﴾، وتفسير الوزر هنا بالحمل الثقيل، وهو الأصل فى اللغة أولى من تفسيره بما يُخْبَرُ عنه بالمغفرة ولا ذكر لها فى السورة(٢).

الثانى: قول ابن عباس: وهو أن جبريل (عليه السلام) شق صدره فأخرج منه قلبه فشرحه وأخرج منه علقة سوداء فأنقاه وغسله ثم ملأه علماً وإيماناً وحِكْمَةً، يعنى فصار يحتمل مالا يحتمله غيره، وخف عليه ما يثقل على غيره(٣).

الثالث: الوزر: ما أصابه (ﷺ) من الهيبة والفزع فى أول ملاقاة جبريل (عليه السلام).

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى: ١٦ /٤٩٣.

(٢) لسان العرب: ١٤ /٣٤٠.

(٣) نظم الدرر: ٤٦٢.

الرابع: الوزر: ما كان يلحقه من الأذى والشتم حتى ينقض ظهره وتأخذه الرعدة، قَوَّاه الله تعالى حتى صار بحيث كانوا يُدْمُونَ وجهه، وهو يقول: **«اللهم اهد قومى»**(١).

الخامس: المراد بذلك: همه (ﷺ) من وفاة أبى طالب وخديجة بناءً على نزول السورة بعد وفاتهما، بوضعه إزالة ذلك برفعه إلى السماء حتى لقيه كل ملك وَحَيَّاهُ فارتفع له الذكر، فلذلك قال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾.

السادس: أن المراد من الوزر والثقل: الحيرة التى كانت له قبل البعثة، وذلك أنه بكمال عقله لما نظر إلى عظيم نعم الله تعالى عليه، حيث أخرجه من العدم إلى الوجود، وأعطاه الحياة والعقل وأنواع النعم ثقلت عليه نعم الله وكان ينقض ظهره من الحياء، لأنه (عليه السلام) كان يرى أن نعم الله عليه لاتنقطع، وما كان يعرف أنه كان يطيع ربه، فلما جاءته النبوة والتكليف وعرف أنه كيف ينبغى له أن يطيع ربه، فحينئذ سهلت عليه نلك الأحوال، فإن اللئيم لا يستحى من زيادة النعم بدون مقابلتها بالخدمة، والإنسان الكريم النفس إذا كثر الإنعام عليه وهو لايقابلها بنوع من أنواع الخدمة، فإنه يثقل ذلك عليه جدا، بحيث يميته الحياء، فإذا كلفه المُنْعِمُ بنوع خدمةٍ سهل ذلك عليه وطاب قلبه.

السابع: (أن المراد منه: تخفيف أعباء النبوة التى تثقل الظهر من القيام بأمرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها، فسهل الله تعالى ذلك عليه، وحط عنه ثقلها بأن يسرها عليه حتى تَيَسَّرَتْ له)(٢).

الثامن: أن المراد: وزر أمتك، وإنما أضيف إليه (ﷺ) لاهتمامه بشأنه وتفكره فى أمره، والمراد بوضعه: رفع غائلته فى الدنيا من العذاب العاجل ما دام (ﷺ)

---

(١) الدر المنثور: ٢ / ٢٩٨.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى: ١٦ / ٤٩٣.

فيهم، وما داموا يستغفرون الله، فقد قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأنفال: ٣٣)(١)، **وقد ضعف الآلوسى هذا الوجه فقال:** (ولا يخفى بُعْدُ هذا الوجه)(٢).

التاسع: أن وضع الوزر: كناية عن عصمته (ﷺ) عن الذنوب وتطهيره من الأدناس، عَبَّر عن ذلك بالوضع على سبيل المبالغة فى انتفاء ذلك كما يقول القائل: رفعت عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر منه زيارة على طريق المبالغة فى انتفاء الزيارة منه له، ومعنى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾. عصمناك من الوزر الذى ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلاً(٣).

العاشر: وقيل: هو ما دهمه عندما أُمِرَ بإنذار قومه ومفاجأتهم بما يكرهون عن عيب دينهم وتضليل آبائهم وتسفيه حلومهم فى التدين بدين لا يرضاه أدنى العقلاء إذا تأمل شيئا من تأمل، مع ما عندهم من الأنفة والحمية وإلقاء الأنفس فى المهالك لأدنى غضب، فقال: **«يا رب إذ يتلفوا رأسى فيدعوه خبزة»**(٤)، فخفف

(١) السابق: ١٦ /٤٩٣.

(٢) روح المعانى: ١٦ / ٣٠ / ٣٠٣.

(٣) السابق، والتفسير الكبير للفخر الرازى: ١٦ /٤٩٣.

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم فى صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار: ١٧ /١٩٦ – ١٩٩، مع شرح النووى، ونصه: "أن رسول الله (ﷺ) قال ذات يوم في خطبته ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي= =حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا

(ﷺ) عنه ذلك بما أظهر له من الكرامات وأيده به من المعجزات، وضمن له من الحماية إلى أمور لايحيط بها علماً إلا الذى أيده بها(١).

الحادى عشر: أن المراد بالوزر: الأمور التى فعلها (ﷺ)، وَوَضْعها عنه هو غفرانها له، وليس المراد بالذنوب المعاصى والآثام، فإن الرسل معصومون من مقارفة الجرائم، ولكن ما فعله (عليه السلام) عن اجتهاد وعوتب عليه، كإذنه (ﷺ) للمنافقين فى التخلف عن الجهاد حين اعتذروا، وأخذه الفداء من أسرى بدر، وعبوسه فى وجه الأعمى ونحو ذلك(٢).

الثانى عشر: أن المراد بذلك: ما كان يثقل عليه ويغمه من قلة المستجيبين لدعوته، وضعف من سبقه إلى الإيمان به، وشيوع الشرك والضلال فى جزيرة العرب، وقوة أهلها، فهذه أوزاره التى أثقلت ظهره (ﷺ) رغبة فى انتشار دعوته، وخشية على أمته، ومحافظة على ظهور ملته، وحرصا على صفاء شرعته، وَوَضْعها عنه هو: كثرة من آمن من بعد ودخولهم فى دين الله أفواجا وقوة أتباعه،

من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان وإن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش ولم يذكر أبو غسان في حديثه وأنفق فسننفق عليك".

(١) نظم الدرر: ٨ / ٤٦١.

(٢) صفوة التفاسير، القسم العشرون، تفسير جزء عم: ٧٤.

وانمحاء الشرك والجاهلية من الجزيرة، وذل أهلها بعد العز وانقيادهم بعد شدة الإباء(١).

الثالث عشر: قال الشيخ الطاهر بن عاشور: (وأما وضع الوزر عنه فحاصل بأمرين: هدايته إلى الحق التى أزالت حيرته بالتفكر فى حال قومه، وهو ما أشار إله قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ (الضحى:٧).وبكفايته مؤنة كلف عيشه التى قد تشغله عما هو فيه من الأنس بالفكرة فى صلاح نفسه، وهو ما أشار إليه قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ **(الضحى:٨)**.

والمختار من هذه الأقوال: أن المراد بالحمل الذى أنقض ظهر رسول الله (ﷺ): ما كان يثقل عليه ويغمه من قلة المستجيبين لدعوته، **ووَضْعه عنه هو:** كثرة من آمن به من بعد ودخولهم فى دين الله أفواجا، وانمحاء الشرك والجاهلية من الجزيرة، وذل أهلها بعد العز، وانقيادهم بعد شدة الإباء.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾

ولما شَرَّفَه فى نفسه بالكمال الجامع للجلال إلى الجمال وكان ذلك لا يصفوا إلا مع الشرف عند الناس ذكر (ﷻ) منته عليه (ﷺ) وكرامته فقال: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾.

﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾: الواو حرف نسق، و"رفع" فعل ماض، والنون والألف اسم الله تعالى فى موضع رفع "لك" الكاف جر باللام الزائدة، و"ذكرك" مفعول به، والكاف بـ "ذكرك" فى موضع جر.(٢)

الواو من ﴿وَرَفَعۡنَا﴾ حرف عطف، مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، "رفع" فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير المعظم نفسه وهو "نا"،

---

(١) تفسير القاسمى: ١٠ / ١٧ / ١٨٥، لسان العرب: ١٤ / ٣٤٠ بتصرف.

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه: ١٢٦.

و"نا" فاعل ضمير مبني على السكون في محل رفع، اللام حرف جر مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والكاف ضمير المخاطب مبني على الفتح في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلق بالفعل قبله . رفعنا، " ذكر " مفعول به لرفعنا منصوب بالفتحة الظاهرة لأنه اسم مفرد، ذكر مضاف والكاف ضمير المخاطب مضاف إليه مبني على الفتح في محل جر، والجملة معطوفة على ما قبلها.

الرفع ضد الوضع، يقال: رفعته فارتفع فهو نقيض الخفض فى كل شىء(١)، والرفع تقريبك الشيء..، والرفع يقال فى الأجسام الموضوعة إذا عليتها عن مقرها نحو: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ (البقرة: ٦٣)، وتارة فى البناء إذا طولته: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾(البقرة: ١٢٧)، وتارة فى الذكر إذا نوهته: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾، وتارة فى المنزلة إذا سرفتها: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ (الزخرف:٣٢)، وقوله تعالى فى صفة القيامة: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ (الواقعة: ٣) أى تخفض أهل المعاصى وترفع أهل الطاعة(٢)، فالرفع فى اللغة يكون حسيا كما معنويا مجازيا، **وعنه يقول الشيخ ابن عاشور: والرفع:** جعل الشيء عاليا لا تناله جميع الأيدى ولا تدوسه الأرجل، ولذا كان رفع الذكر هنا مجازاً فى إلهام الناس لأن يذكروه (ﷺ) بخير، وذلك بإيجاد أسباب تلك السمعة حتى يتحدث بها الناس استعير الرفع لحسن الذكر، فقد فطر الله رسوله (ﷺ) على

(١) لسان العرب: ٦ / ١٩١.

(٢) ينظر: المفردات فى غريب القرآن: (رفع).

مكارم يعز وجود نوعها، ولم يبلغ أحد شأو ما بلغه منها حتى لُقِّبَ فى قومه بالأمين(١).

والذكر هو الحفظ للشيء تذكره، الذكر أيضا الشيء يجرى اللسان، والذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته، والذكر بالقلب يقال منى على ذكر أى لم أنسه، والذكر الشرف، والذكر الصيت، والذكر الكتاب، والذكر الصلاة لله والدعاء إليه والثناء عليه.(٢)

وكلمة الذكر غالبا ما تضاف إلى ذات الجلالة: ذكر الله، ذكر ربك، **ووردت مضافة** إلى ضمير المتكلم (ذكرى)، **وفى** القرآن الكريم منها ستة مواضع(٣) كلهاالله جل جلاله، وأضيف مرتين(٤) إلى ضمير المتكلم (ذكرنا) وكلتاهما لله تعالى، **وجاء الذكر** معرفا بمعنى الوحى أو القرآن الكريم فى عدة آيات (٥) **وهذا** الاستعمال يضفى على كلمة الذكر جلالا ورفعة، لكثرة ما تقترن بذات الجلالة أو تضاف إلى ضميره جل شأنه أو يقصد بها القرآن والوحى.(٦)

لأجل ذلك كان من المفسرين (ﷺ) شُغْلهم **ببيان عظيم رفع ذكره:** (أن يُذْكَرَ معه جل شأنه فى الأذان والإقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الأضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفى

---

(١) التحرير والتنوير: ١٥ /٤١٢.

(٢) ينظر: لسان العرب: (ذكر).

(٣) فى السور التالية:الكهف:١٢، طه:١٢٤،٤٢،١٤، والمؤمنين:١١١، ص:٨.

(٤) فى سورتى: الكهف: ٢٨، والنجم: ٢٩.

(٥) فى السور التالية: الحجر:٦، ٩، ص:٨، والقمر: ٢٥، وفصلت: ٤١، والنحل: ٤٤، والفرقان: ١٨، ويس:٥١.

(٦) ينظر: التفسير البيانى للقرآن الكريم: ٦٢/١ – ٦٣.

خطبة النكاح ومشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافراً، **وقيل:** أعلنا ذكرك فذكرناك فى الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك، ولا دين إلا ودينك ظهر عليه، **وقيل:** رفعنا ذكرك عند الملائكة فى السماء، وعند المؤمنين فى الأرض، ونرفع فى الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات، **وقال الضحاك:** لاتقبل صلاة إلا به، ولا تجوز خطبة إلا به، **وقيل:** رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله)([1]).

وأضاف الإمام الفخر الرازى: أنه (جعل ذكره فى القرآن مقرونا بذكره فقال: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ **(التوبة: ٦٢)**، ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ **(النساء: ١٣)**، و ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ **(محمد: ٣٣)**، **كما ناداه** باسم الرسول والنبى، حين نادى غيره بالإسم يا موسى يا عيسى، وجعله فى القلوب بحيث يستطيبون ذكره، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ **(مريم: ٩٦)**.

كأنه تعالى يقول: أملأ العالم من أتباعك كلهم يُثْنون عليك ويصلُّون عليك ويحفظون سنتك، بل ما من فريضة من فرائض الصلاة إلا ومعها سنة فهم يمتثلون فى الفريضة أمرى وفى السنة أمرك وجعلت طاعتك طاعتى وبيعتك بيعتى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾ **(النساء: ٨٠)** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (الفتح: ١٠)، والقراء يحفظون ألفاظ منشورك، والمفسرون يفسرون معانى فرقانك، والوعاظ يبلون وعظك، بال العلماء والسلاطين يصلون إلى

(١) الفتوحات الإلهية: ٤ / ٥٥٥ – ٥٥٦.

خدمتك، ويسلمون من وراء الباب عليك، ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك، فشرفك باق إلى يوم القيامة)([1]).

والظاهر: أن هذا الرفع لذكره (ﷺ) والذى امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الأمور، فَكُلّ واحِدٍ منها من أسباب رفع الذكر، وبالجملة فقد ملأ ذِكْره الجليل السماوات والأرضين، وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن والثناء الصالح ما لم يجعله لأحدٍ من عباده.

لطيفة:

إذا نظرنا إلى هذه الآية وقابلناها بقوله تعالى فى سورة الشعراء حكاية عن سيدنا إبراهيم ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ يظهر لنا القدر العالى لرسولنا (ﷺ) **من ناحيتين:**

١- أن الرسول (ﷺ) أُعْطِىَ من غيرِ طَلَبٍ، أمَّا الخليل فقد أُعْطِىَ بعد الطلب.

٢- أنَّ ما أُعْطِيه رسول الله (ﷺ) أعم وأشمل وأسبغ مما طلبه سيدنا إبراهيم إذ أن رفع الذكر يشمل العديد من صور الرفعة المذكورة فيما مضى، أما طلب الخليل المقصور على أن يبقى له ذكر حسن فى الأمم الآتية من بعده.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: (ثم سأل - أى إبراهيم (عليه السلام) - بقاء ذكر حسن له فى الأمم والأجيال الآتية من بعده، وهذا يتضمن سؤال الدوام والختام على الكمال، وطلب نشر الثناء عليه وهذا ما تتغذى به الروح من بعد موته)([2]).

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى: ١٦ /٤٩٤ - ٤٩٥.

(٢) التحرير والتنوير: ١٤٥/١٩ - ١٤٦.

وقد يقال: لقد زاد لفظة ﴿لَكَ﴾ فى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ **وفى قوله:** ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ **ولفظة** ﴿عَنكَ﴾ **فى** ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ فأى فائدة فى تقديم الزيادة على المفاعيل الثلاثة؟ **وجواباً عن ذلك قال شيخ زادة:** إن الزيادة المقدمة عليها تفيد إبهام المشروح والموضوع والمرفوع ثم تبيينه وتووضيحه، والإيضاح بعد الإبهام أوقع فى الذهن(١) وأبلغ فى البيان، وذلك يدل على تعظيم المشروح والموضوع والمرفوع.

ولا يخفى لطف ذكر الرفع بعد الوضع.(٢) إذ إن هذا التضاد اللفظى يؤدى إلى تلازم ذهنى، "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حالته حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء".(٣)

الآيتان الخامسة والسادسة: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾

ذكر الإمام الفخر فى وجه تعلق هاتين الآيتين بما قبلهما: (أن المشركين كانوا يُعَيِّرُون رسول الله (ﷺ) بالفقر، ويقولون إن كان غرضك من هذا الذى تَدَّعيه طلب الغنى جمعنا لك مالاً حتى تكون كأيسر أهل مكة، فشق ذلك على رسول الله (ﷺ) حتى سبق إلى وهمه أنهم إنما رغبوا عن الإسلام لكونه فقيرا حقيرا عندهم فعدد الله تعالى عليه مننه فى هذه السورة، وقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾، ثم وعده بالغنى فى الدنيا ليزيل عن قلبه ما حصل فيه من التأذى بسبب أنهم عَيَّروه بالفقر وَبَشَّره بأنه مع العسر يسراً فسيظهر دينه على الدين كله، وسَيُغْنِى أصحابه (رضي الله عنهم) بعد عيلتهم، وَيُكَثِّرهم بعد قِلتِهم ويعزهم بعد

(١) حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي: ٤ /٦٧١.
(٢) ينظر: روح المعاني: ١٦ / ٣٠ /٣٠٤.
(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧/١.

ذلتهم، ويصير هؤلاء المخالفون له أعظم الأعضاد، وينقاد له المخالف أتم انقياد، ويفتح له أكثر البلاد، ليكون هذا العطاء فى اليسر بحسب ما كان وقع من العسر (١).

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

قال الإمام السيوطى فى سبب نزولها: أنها "نزلت لما عير المشركون المسلمين بالفقر، وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ﷺ) أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين"(٢)

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ "إن" حرف نصب، و"مع" حرف جر، و"العسر" جر بـ "مع"، و"يسرا" نصب بأن(٣). الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره: إذا كان من أرسلك تكفل لك بما ذُكِرَ فلا تخش الضوائق لأن مع العسر يسرا , "إنَّ" حرف توكيد ونصب , " مع " ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم لإن , " مع " مضاف و" العسر " مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة لأنه اسم مفرد صحيح الآخر , " يسرا " اسم إن مؤخر منصوب بالفتحة الظاهرة لأنه اسم مفرد.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ (**الفاء** فصيحة تفصح عن كلام مقدر يدل عليه الاستفهام التقريرى هنا، أى إذا علمت هذا وتقرر، تعلم أن اليسر مصاحب للعسر، وكأن الله تعالى يقول: إن الذى أنعم عليك بهذه النعم الجليلة،

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى: ١٦ /٤٩٥.

(٢) السبب ضعيف: أورده السيوطى فى الدر: ٣٦٤/٦، وفى: معترك الأقران: ٦٠٩/١، وضعفه الحافظ فى: الفتح: ٥٨٢/٨، وقال فى تخريج الكشاف: ص١٨٦: أخرجه ابن مردويه من رواية عطية عن جابر موصولا وإسناده ضعيف.

(٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ١٢٧.

سينصرك عليهم، ويظهر أمرك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب، وفى دلالة ذلك على إدراك العناية الإلهية فيما سبق، وتعريض بالوعد باستمرار ذلك فى كل أحواله، فكلما عرضت له المصاعب، فاليسر لا يختلف عن اللحاق بتلك المصاعب، وذلك من خصائص كلمة ﴿مَعَ﴾ الدالة على المصاحبة)([1]).

وحرف ﴿إِنَّ﴾ للاهتمام بالخبر، وإنما لم يستغن بها عن الفاء، لأن الفاء هنا أريد بها الفصيحة مع التسبب، فلو اقتصر على حرف ﴿إِنَّ﴾ لفات معنى الفصيحة. وكلمة ﴿مَعَ﴾ هنا مستعملة فى غير حقيقة معناها، لأن العسر واليسر نقيضان فمقارنتهما معا مستحيلة، فتعَيَّن أن المعية مستعارة لقرب حصول اليسر عقب حلول العسر أو ظهور بوادره، بقرينة استحالة المعنى الحقيقى للمعية، وبذلك يندفع التعارض بين هذه الآية وبين قوله تعالى فى سورة الطلاق: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾.

والعسر: المشقة فى تحصيل المرغوب والعمل المقصود.([2]).

والعسر ضد اليسر وقد استعمله القرآن الكريم فى حالات الشدة البالغة: ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ (الطلاق:٦)، ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ (التوبة: ١١٧) كما استعمله فى إرهاق المدين حين يطلب الدين وليس معه مال قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ (البقرة:٢٨٠) ويلاحظ أن

(١) التحرير والتنوير: ١٥ /٣٠ /٤١٣، وصفوة التفاسير، القسم العشرون: ٧٥.

(٢) السابق: بتصرف.

العسر كثيرا ما يأتى فى القرآن الكريم نقيضا لليسر كقوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ (الطلاق: ٧) وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ (الليل: ١٠).(١)

و(أل) فى **(ٱلْعُسْرِ)** للاستغراق ولكنه استغرق بالمعهود عند المخاطبين من أفراده وأنواعه، فهو العسر الذى يعرض من الفقر والضعف وجهل الصديق وقوة العدو، وقلة الوسائل إلى المطلوب، ونحو ذلك مما هو معهود ومعروف(٢).

واليسر هو اللين والانقياد،واليسر السهولة والغنى، وتيسر لفلان الخروج واستيسر له بمعنى تهيأ.(٣)، **واليسر** ضده – أى ضد العسر – وهو: سهولة تحصيل المرغوب وعدم التعب فيه(٤) ، والتنكير فى اليسر للتفخيم، فكأنه قيل: إن مع العسر يسرا عظيما، وأى يُسْرٍ.(٥)

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أى: إن مع الضيق سعة ومع الشدة رخاءاً، ومع الكرب فرجاً. وفى هذا وعد منه سبحانه بأن كل عسير يتيسر، وكل شديد يهون، وكل صعب يلين، فإن الذى مُنِحَهُ صلوات الله عليه من شرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر بعد ضيق الأمر واستحكام حلقات الكرب فى أول السير كان على ما جرت به سنته تعالى فى هذا النوع من الخليقة، وهو أن مع العسر يسراً، ولهذا وصل العبارة بالفاء التى لبيان السبب(٦).

---

(١) لسان العرب: (يسر).

(٢) تفسير القاسمى: ١٠ / ١٧ /١٨٧.

(٣) لسان العرب: (يسر).

(٤) تفسير القاسمى: ١٠ / ١٧ /١٨٧بتصرف.

(٥) التفسير الكبير: ٣٢ /٦.

(٦) تفسير فتح القدير: ٥ / ٤٦٢، وتفسير القاسمى: ١٠ / ١٧ /١٨٧ بتصرف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

ثم زاد (ﷻ) هذا الوعد تقريرا وتأكيدا، فقال مكررا له بلفظه: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾إعرابه كإعراب الأول(١), والجملة مؤكدة لما قبلها توكيدا لفظيا , ولذا فُصِلت عما قبلها ولم تعطف عليها لوجود كمال الاتصال بينهما.

قال المفسرون فى تقرير معنى هذه الآية وجهان:

الأول: قال الفراء والزجاج: العسر مذكور بالألف واللام(٢)، وليس هناك معهود سابق فينصرف إلى الحقيقة، فيكون المراد بالعسر فى اللفظين شيئا واحدا، وأما اليسر: فإنه مذكور على سبيل التنكير، فكان أحدهما غير الآخر، فإن من عادة العرب إذا ذكروا اسماً مُعَرَّفاً ثم كرروه، فهو هو، وإذا ذكروه ثم كرروه فهو غيره، وهما اثنان ليكون أقوى للأمل، وأبعث على الصبر، ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ: "لن يغلب عسر يسرين"(٣).

قال الواحدى: وهذا قول النبى (ﷺ) والصحابة والمفسرين على أن العسر واحد واليسر اثنان، فصار المعنى: إن مع العسر يسرين. وزيف الجرجانى هذا

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن:١٢٧.

(٣) معانى القرآن للفراء:٢٧٥/٣، ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٤١/٥.

(٣) أخرجه الإمام مالك فى كتاب الجهاد، باب: الترغيب فى الجهاد: ٣ /٢٧٧.

وقال: إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفا، إن مع الفارس سيفا، يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان، ومعلوم أن ذلك غير لازم من وضع العربية(١).

الوجه الثانى: أن تكون الجملة الثانية تكريرا للأولى، كما كرر قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ (المرسلات: ١٩)، وهذا التكرير تأكيد للكلام والغرض تقرير معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب، كما يكرر المفرد فى قولك: جاءنى زيد زيد، والمراد من اليسرين:

يسر الدنيا وهوما تيسر من استفتاح البلاد، ويسر الأخرة: وهو ثواب الجنة لقوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ وهما حسن الظفر وحسن الثواب(٢).

والصحيح من القول: ما ذكره رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه وصحابته والمفسرون من أن العسر واحد واليسر اثنان، وحينئذ يصير المعنى: إن مع العسر يسرين.

الآيتان السابعة والثامنة: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾

المناسبة بين الآيتين:

ولَمَّا عَدَّدَ عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنَّصَب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازى: ١٦ /٤٩٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى: ٢٠ /١٠٧، وفتخ القدير: ٥ /٤٦٢ بتصرف.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازى: ١٦ ٤٩٦.

يخلى وقتاً من أوقاته منها، فإذا فرغ من عبادة أتبعها بأخرى فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ (١)..

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾.

"إذا" حرف وقت غير واجب، "فَرَغْتَ" فعل ماض، والتاء فى موضع رفع، "فَانصَبْ" أمر جزمُ فى قول الكوفيين، ووقف فى قول البصريين، "وَإِلَىٰ رَبِّكَ": رب جر بإلى، والكاف بالإضافة، و"فَارْغَب " جزم بالأمر. (٢)

﴿فَإِذَا﴾ الفاء تفريعية حرف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب المحل لجوابه، فرغ من ﴿فَرَغْتَ﴾ فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بتاء المخاطب، والتاء فاعل ضمير مبني على الفتح في محل رفع، والجملة من الفعل والفاعل في محل جر بإضافة "إذا" إليها.

﴿فَانصَبْ﴾ الفاء واقعة في جواب إذا , (انصب) من ﴿فَانصَبْ﴾ فعل أمر مبني على السكون لا محل له من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: أنت، والجملة جواب " إذا " لا محل لها من الإعراب، وهي التي عملت فيها النصب محلاً.

جملة: (﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ تفريع على ما تقرر من التذكير باللطف والعناية ووعده بتيسير ما هو عسير عليه فى طاعته التى أعظمها تبليغ الرسالة دون ملل ولاضجر.

---

(١) تفسير الكشاف: ٤ / ٢٢٢.

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن:١٢٧.

والفراغ: خلو باطن الظرف أو الإناء، لأن شأنه أن يُظْرف فيه)([1])، يقال: فرغ الشيء فراغاً وفروغاً: خلا، ويقال: فرغ الإناء، وفرغ الفؤاد، وفرغ من الشيء: أتمه، وإلى الشيء وله: قصده. والفراغ: خلاف الشغل، وقد فرغ فراغا فهو فارغ قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ (الرحمن:٣١) وقال: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ (القصص:١٠)([2]).

وفعل "فرغ" يفيد أن فاعله كان مملوءاً بشيء، وفراغ الإنسان مجاز فى إتمام ما شأنه أن يعمله.

(ولم يذكر هنا متعلق ﴿فَرَغْتَ﴾ لقصد العموم ليشمل كل متعلق عمله مما هو مهم)([3]).

والنَّصَبُ: الإعياء والتعب، والفعل نَصِبَ، يقال: نصب الرجل بالكسر نصباً: إذا تعب وجد واجتهد([4]).

واختيار (النصب) هنا ملحوظ فيه الجهد والتعب والقيام أو الشخوص، ومعنى الشخوص: – الإقامة – واضح فى قوله تعالى: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ **(الغاشية: ١٩)**، ومعنى التعب والجهد واضح فى قوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ **(الكهف:٦٢)**، وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ **(الحجر:٤٨)** حيث لايمس المؤمنين فى الجنة نصب.([5])

---

(١) التحرير والتنوير: ١٥ / ٣٠ / ٤١٦.

(٢) ينظر: المفردات للراغب: (فرغ).

(٣) التحرير والتنوير: ١٥ / ٣٠ /٤١٦ ـ٤١٧.

(٤) لسان العرب: ١٤ / ٢٦٦، والمعجم الوسيط: ٢ / ٩٢٤.

(٥) ينظر: التفسير البيانى للقرآن الكريم للدكتوره عائشه عبدالرحمن: ١ /٧٩، دار المعارف، مصر.

فمعنى الشخوص والإقامة يوحى بالقيام لله وإقامة الصلاة والاجتهاد فى العبادة لدرجة التعب والنصب.

والآية الكريمة لم تحدد مم كان هذا الفراغ، وفيم يكون النصب اكتفاء بدلالة السياق، فالآية مسبوقة بوعد من الله تعالى بيسر عاجل واقع لا ريب فيه، وسيعقب هذا ما يعقبه من فراغ بال من الحيرة والضيق والكرب والضنك بعد إذ مَنَّ الله تعالى على عبده بما شرح له من صدره ووضع عنه من وزره الذى أنقض ظهره ورفع له ذكره، فإذا لم يكن بد من تحديد متعلق الفراغ: فإنه سبحانه أفرغ بال رسوله مما كان يُجْهِدُهُ وإذ ذاك فلينصب الرسول وليقم فى عبادة ربه وشكره وحمده طاقته ما من عليه من نعم.(١)

وقد اختلفت أقوال المفسرين من السلف فى تعيين المفروغ منه، وفى معنى الآية، **فقيل المعنى:** إذا فرغت أى من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك فى الدعاء وارغب إليه فى المسألة يعطيك، وفائدة التعب فى الدعاء أنه ينفعه فى الدنيا وفى الآخرة.

وقال مجاهد: إذا فرغت من أمر دنياك فانصب وصل.

وقال ابن مسعود: فإذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل.

وقال الشعبى: إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك.

وقال أبو حيان عن الكلبى: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب، أى: استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات.

وقال الحسن: إذا فرغت من الغزو فاجتهد فى العبادة.

---

(١) التفسير البيانى للقرآن الكريم: ٦٩/١ – ٧٠.

قال الجمل معقبا على هذا المعنى: وأما تفسير فإذا فرغت من الغزو ففيه نظر، لأن السورة مكية، والأمر بالجهاد إنما كان بعد الهجرة، فلعله تفسير ابن عباس الذاهب إلى أن السورة مدنية(١).

وقال على بن أبى طلحة: إذا كنت صحيحا فانصب، يعنى اجعل فراغك نصباً فى العبادة، يدل عليه ما روى أن شريحاً مر برجلين يتصارعان، فقال الفارغ ما أمر بهذا إنما قال الله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾(٢).

وقال ابن العربى: ومن المبتدعة من قرأ هذه الآية: "فأنصِبْ" بكسر الصاد والهمز فى أوله، وقالوا معناه: انصب الإمام الذى يُستخلف، وهذا باطل فى القراءة باطل فى المعنى، لأن النبى (ﷺ) لم يستخلف أحدا، وقرأها بعض الجهال: " فانْصَبَّ " بتشديد الباء، ومعناه: إذا فرغت من الجهاد فجد فى الرجوع إلى بلدك(٣). وهذا باطل أيضا قراءة لمخالفة الإجماع، لكن معناه صحيح لقوله (ﷺ): «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نَهْمَتَه من سفره، فليعجل الرجوع إلى أهله»(٤)، وأشد الناس عذابا وأسوأهم مباءً ومآباً، من أخذ معنى صحيحا، فركب عليه من قيل نفسه قراءة أو حديثا، فيكون كاذبا على الله، كاذبا على رسوله، ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا)(٥).

---

(١) الفتوحات الإلهية: ٤ /٥٥٧.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٦ /٤٩٧، والسابق.

(٣) ينظر: القراءات الشاذة لابن خالويه: ١٧٥، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان.

(٤) **أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب ج٢ ص٦٣٩، برقم (١٧١٠).**

(٥) ينظر: أحكام القرآن: ٤ / ١٩٤٩ –١١٩٥٠.

وقال القاسمى: المعنى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ أى: من عمل من أعمالك النافعة لك ولأمتك ﴿فَانصَبْ﴾ أى: خذ فى عمل آخر واتعب فيه فإنك تجد لذة الراحة عقب النصب بما تجنيه من ثمرة العمل(١).

وأرجح الأقوال: إذا فرغت من عمل فانصب فى عمل آخر، فإذا فرغت من عمل الدنيا فانصب فى عمل الآخرة، وإذا فرغت من عمل الآخرة فانصب فى عمل الدنيا وإياك والكسل، وإياك والخمول وإياك واللهو، وإياك واللعب، **كان عمر** ﷺ يقول: إنى لأكره لأحدكم أن يكون سبهللا، لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة".

ولذا أرى أن هذه الآية حلت مشكلة الفراغ عند المسلمين، ولذلك لم يشتك الصدر الأول مما يشتكى منه الناس اليوم، يدل على ذلك قول عروة بن الزبير وهو حدث صغير السن لعائشة (رضي الله عنها) وكانت خالته: "إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ (البقرة: ١٥٨) إذا فلا جناح على الرجل أن يدع الطواف بين الصفا والمروة، فقالت عائشة: لايابن أختى ليست هكذا، ولو كانت كما فهمت لقال الله: فليس عليه جناح أن لا يتطوف بهما"(١).

والشاهد: أن هذا الصبى اليافع، هكذا كان يقرأ القرآن، ويتدبر معانيه، وهكذا كان حريصا على التثبت من صحة فهمه، وَمَنْ كان كذلك فلن يكون عنده فراغ أبدا. هذا، وتقدير الآية الكريمة: (فانصب إذا فرغت) لكنه قدم ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ على ﴿فَانصَبْ﴾ للاهتمام بتعليق العمل بوقت الفراغ من لتتعاقب الأعمال.

---

(١) المذكور جزء من حديث مذكور بالمعنى أخرج نصه الإمام البخارى، فى كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة وَجُعِلَ من شعائر الله: ٣/٤٩٧ – ٤٩٨.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَبۡ ۝٨﴾

عطف على تفريع الأمر بالشكر على النعم أَمْراً بطلب استمرار نعم الله عليه كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾(إبراهيم:٧)(١).

﴿وَإِلَىٰ﴾ الواو حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، "إلى "حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب، ولفظ الرب الكريم مجرور بإلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة، "رب" مضاف والكاف ضمير المخاطب في محل جر بالإضافة.

الفاء من ﴿فَٱرۡغَبۡ﴾ واقعة في جواب شرط مقدر دل عليه الشرط السابق "إذا فرغت فانصب"، والتقدير: "إذا كان الأمر كما ذُكر فإلى ربك فارغب"، "ارغب" فعل أمر مبني على السكون لا محل له من الإعراب، والجملة لا محل لها من الإعراب عطفاً على جواب إذا السابقة، وتقديم الجار والمجرور على عامله لإفادة القصر، أي: ارغب إلى ربك لا إلى غيره.

والرغْب، والرُغْبُ، والرَغَبُ: الضراعة والمسألة، والرغبة طلب حصول ما هو محبوب، ويقال: رغبت إلى فلان فى كذا وكذا: أى سألته إياه(٢). ومن يتأمل فى القرآن الكريم يصل إلى أن الرغبة فى الاستعمال القرآنى جاءت غالبا فى السياق الدينى مع الله والآلهة والملة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ (البقرة:١٣٠)، ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ (التوبة:٥٩)، ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾(مريم:٤٦)،

---

(١) يراجع: التحرير والتنوير: ١٢ / ٣٠ / ٤١٧.

(٢) التحرير والتنوير:٤١٧/٣٠/١٢، والمعجم الوسيط: ٣٥٦/١، لسان العرب:١٨٢/٦،١٨١ بتصرف.

وقد جاءت فى غير هذا السياق الدينى فى مقام الميل القوى فى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ (التوبة: ١٢٠)، ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾(النساء:١٢٧)، وجاء الرغب مع الرهب قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (الأنبياء:٩٠). قال الإمام السيوطى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾أى تضرع([1])، وقال الإمام الألوسى: فاحرص بالسؤال ولا تسأل غيره.([2])

وتعدى الفعل: هنا بحرف: (إلى) لتضمينه معن الإقبال والتوجه تشبيها بسير السائر إلى من عنده حاجته، كما قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾(الصافات:٩٩).

وتقديم: (إلى ربك) على الفعل: **(فَٱرْغَب)** لإفادة الاختصاص، أى إليه لا إلى غيره تكون رغبتك، فإن صفة الرسالة أعظم صفات الخلق، فلا يليق بصاحبها أن يرغب غير الله تعالى.

ولما كانت هذه الآية مرتبطة بما قبلها بواو العطف، لزم أن يكون هذا التخصيص فى﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ مرتبطا بما قبله متصلا به، فيكون اتجاه الرغبة إلى الله وحده الذى أفرغ بال رسوله مما كان يشغله من ضيق الصدر والوزر الذى أنقض ظهره، فشرح صدره ووضع عنه الوزر، وبشره بيسر قريب على وجه اليقين الذى لا شك فيه.([3])

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين: ٨١٣.

(٢) ينظر: روح المعانى: ٣٠ /١٧٢.

(٣) ينظر: التفسير البيانى: ٧٢/١.

وتخصيص ذكر الرب دون سواها من الألفاظ الدالة على ذاته العظيمة، مع أنه تَبَيَّن من الكلام السابق لاستعمال الرغبة من أنها جاءت مع (الله) و(الإله)، وذلك يتضح عند معرفة معانى (الرب)، فالرب المنعم ورب كل شيء مالكه وسيده والمنعم عليه، فلما كان المقام مقام امتنان وتعديد نعم وأفضال فى هذه السورة والسورة قبلها ناسب أن يكون الأمر بالرغبة موجه إلى الله تعالى، واختص لفظ (الرب) بالذكر لما فيه من معنى المنعم المتفضل.

ومن يتأمل سورة الضحى التى هى مع هذه السورة كالسورة الواحدة فى التناسق والانسجام يجد أيضا اختصاص ذكر (الرب)، فقال تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ و ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ و﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (الضحى: ٣، ٥، ١١) والله تعالى أعلم.

وفى معنى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾ أوجه:

أحدها: قال الزجاج: أى اجعل رغبتك إلى الله وحده(١)، قال عطاء: يريد أنه يضرع إليه راهبا من النار راغبا فى الجنة، والمعنى: أنه يرغب إليه سبحانه لا إلى غيره كائنا من كان، فلا يطلب حاجاته إلا منه، ولا يعول فى جميع أموره إلا عليه، وقرأ زيد بن على وابن أبى عبلة: "فرغّب" بتشديد الغين: أى: فرغب الناس إلى الله وشوقهم إلي ما عنده من الخير(٢).

وثانيها: أى اجعل همك ورغبتك فيما عند الله، لا فى هذه الدنيا الفانية(٣).

---

(١) ينظر: معانى القرآن وإعرابه: ٣٤١/٥.

(٢) تفسير فتح القدير للشوكانى: ٤٦٣/٥، ٤٦٢.

(٣) صفوة التفاسير: القسم العشرون: ٧٥.

وثالثها: قال الإمام البقاعى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أى المحسن إليك بما ذكر فى هاتين السورتين خاصة ﴿فَٱرْغَب﴾: أى بالسؤال، والرَّغَبُ شعار العبد دائما فى كل حال: أى افعل ذلك ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؟ فقد اتصل هذا الآخر بالأول اتصال المعلول بالعلة ولاءم ما بعدها بذلك ملاءمة الشمس بالأهلة(١).

وحذف مفعول (ارغب) ليعم كل ما يرغبه النبى (ﷺ)(٢).

المطلب الثالث

المعنى العام للسورة الكريمة

الحمد لله، الذى أنعم على أنبيائه ورسله بنعم عظيمة جليلة أولاها فضلا، وأوفاها منة، وأعلاها قدرا نعمة النبوة حيث اصطفاهم لقربه، واجتباهم لرحمته، يقول (ﷻ): ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾(آل عمران: ١٧٩)، ويقول سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام:٨٧)، وقد خص (ﷻ) نبيه وخليله محمدا (ﷺ) بمزيد فضل، وحباه بعظيم قدر حتى قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ (النساء: ١١٣). ومن هذا الفضل: أنه شرح صدر الرسول الكريم محمد (ﷺ) وامتن عليه بهذه النعمة العظيمة فى سورة من سور القرآن تُتْلى إلى يوم القيامة تسمى سورة الشرح، يقول (ﷻ): ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ وقد نزلت هذه السورة بعد سورة الضحى وكأنها تكملة لها، فيها ظل العطف، وفيها روح المناجاة للحبيب، وفيها استحضار

---

(١) نظم الدرر: ٤٦٦،٤٦٧/٨.

(٢) التحرير والتنوير: ٤١٨/٣٠/١٢.

مظاهر العناية، واستعراض مواقع الرعاية، وفيها البشرى باليسر والفرج، وفيها التوجيه إلى سر اليسر وحبل الاتصال الوثيق ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

وما دام النبي قد شرح الله صدره، فما الذي كان يضيقه؟ وما الذي كان يؤلمه؟ وما الذي كان يحزنه؟.

إن السورة الكريمة توحِى بأن هناك ضائقة كانت فى روح رسول الله (ﷺ) لأمر من أمور هذه الدعوة التى كُلِّفَهَا، كان مُثْقَلاً بهموم هذه الدعوة الثقيلة، وهو (ﷺ) كان يُحِسُّ العبء فادحاً على كاهله، كان يُحْزِنُهُ ضَلالُ البشر، وكان يُحْزِنه ضَيَاعُهُمْ وانحرافهم، كان يخشى هَلاكَهمْ وشَقَاءَهُمْ الذى ينتظرهم، فكان فى حاجة إلى عَوْنٍ ومددٍ وزادٍ ورصيدٍ.

ثم كانت المناجاة الحلوة، وهذا الحديث الودود، وهذا التذكير، وهذا الاستحضار لمظاهر العناية، وهذا الاستعراض لمواقع الرعاية، وهذا التوكيد بكل ضروب التوكيد ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ يُؤْتِ... ﴾ الآيات.

ألم نشرح صدرك لهذه الدعوة؟ ونيسر لك أمرها، ونجعلها حبيبة لقلبك، ونشرع لك طريقها، ونُذَلِّلُ لك الطريق حتى ترى نهايته السعيدة فقمت بالدعوة خير قيام وتحملت أعباءها بنفس راضية وقلب مطمئن، فتش فى صدرك ألا تجد فيه الرَّوْحَ والانشراح والإشراق والنور؟ واسْتَعِذْ فى حِسِّكَ مَذَاقَ هذا العطاء، وقل: ألا تجد معه المتاع من كل مشقةٍ، والراحة مع كل تَعَبٍ، واليسر مع كل عُسْرٍ، والرضا مع كل حِرْمَانٍ؟ وإذا عَلِمَ أن الدعوة التى كُلِّفَ وشُرِّف بها رسول الله (ﷺ) عِبْءٌ ليس بالخفيف، بل عبء من أشد ما يكون، وحمل تنوء به كواهل الفطاحل، وتنقض لأجله ظهور الأكابر، فإن الله بما تعهد به لنبيه (ﷺ) من الآيات والإرشادات والتوجيهات قد وضع وزره الذى أثقل ظهره.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾، لقد وضعنا عنك عبئك الثقيل الذى أثقل ظهرك حتى كاد يحطمه من ثقله، وضعناه عنك بشرح صدرك له فخف وهان، وبتوفيقك وتيسيرك للدعوة ومداخل القلوب، وضعنا عنك وزرك فأعناك هلى هداية القوم، فلانت قلوب بعض الناس إليك، وسارعوا إلى الإيمان بك وصدقوك، ألا تجد هذا العبء خفيفا بعد أن شرحنا لك صدرك.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: رفعناه فى الملأ الأعلى، ورفعناه فى الأرض، ورفعناه في هذا الوجود جميعا.. رفعناه فجعلنا اسمك مقرونا باسم الله كلما تحركت الشفاه " لاإله إلا الله محمد رسول الله "، ورفعنا لك ذكرك وقد ارتبط بهذا المنهج الإلهى الرفيع، وكان مجرد الاختيار لهذا الأمر رفعة ذكر لم ينلها أحد من قبل ولا من بعد فى هذا الوجود.

فليس بعد هذا رفع وليس من وراء هذا منزلة، فأين تقع المشقة والضنى من هذا العطاء الذى يمسح كل مشقة وكل عناء، ومع هذا فإن الله تعالى يتلطف مع حبيبه المختار ويسرى عنه ويؤنسه ويطمئنه ويطلعه على اليسر الذى لا يفارقه، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فمع الكرب فرجاً، ومع الشدة رخاءً، فليصبر الإنسان لأن العسر لا يخلو من يسر يصاحبه ويلازمه، وقد لازمه مع رسول الله (ﷺ) فعلاً.

إن هذه الآية عظيمة جداً، فأى مصيبة على وجه الأرض نفسية أم جسمية، كمصيبة المال، أو مصيبة النفس، أو مصيبة الجسد، أو قلق وهم وحزن وفقر وخوف وضياع، أصاب المرء فليذكر بها، ومهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة إلا وجعل الله بعده فرجاً.

ثم يجيء التوجيه الكريم لمواقع التيسير وأسباب الانشراح، ومستودع الرى والزاد فى هذا الطريق الشاق الطويل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ فخذ فى

أسباب اليسر والتيسير، فإذا فرغت من عمل الآخرة فانصب فى عمل الدنيا، وإذا فرغت من عمل الدنيا فانصب فى عمل الآخرة، وإذا فرغت من عمل فانصب إلى عمل آخر واجعل نيتك لله ورغبتك إليه، إلى ربك وحده خاليا من كل شيء حتى من أمر الناس الذين تشتغل بدعوتهم. إنه لابد من الزاد للطريق وهنا الزاد، ولا بد من العدة والجهاد، وهنا العدة، وهنا ستجد يسراً مع كل عسر وفرجاً مع كل ضيقٍ، وهذا هو الطريق.

وهنا سؤال يطرح نفسه، هو: هل كل عسر يعقبه يسر كما هوظاهر النص الكريم؟

والجواب: الظاهر أنه كذلك متى سار صاحب العسر على سنن الله الكونية، فتذرَّع بالصبر، واستعد للمقاومة، وصابر نفسه، وصبر على المكروه، وعمل على التخلص منه، عند ذلك يرزقه الله اليسر بأى شكل وعلى أى وجه، أما إذا حقت عليه كلمة الله، فإن صاحب العسر يتخبط فى سَيْرِهِ، فينطبق عليه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ (القصص:٨٨)، والأمر كله أولا وآخرا لله، والمشاهد: أن مع العسر يسراً، ولكن اليسر يختلف تبعاً لِحِكَم يعلمها الله، فيا أخا الإسلام لا تحزن لما يصيبك، ولا تجعل الدنيا أكبر همك، فإنها دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لن يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عُقْبَى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عِوَضاً، فيأخذ ليعطى، ويبتلى ليَجْزِى. ويا أخا الإسلام خذ فى أسباب الخير والتيسير، فإذا فرغت من عمل فانصب فى عمل، آخر، وإياك والكسل، وإياك والخمول، وإياك واللهو، وإياك واللعب.

يا أخا الإسلام: وقتك فإنه رأس مالك فى تجارتك مع الله، وكل مفقود عسى أن تسنرجعه إلا الوقت، فإنه إذا فات لم يتعلق بالنفس أمل فى رجوعه، فاغتنم

فراغك يا عبدالله، واعلم أن من قال: «سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة»(١).

فانظر إلى مضيع الوقت كم ضيع من تخلات إنه سيعلم قيمة الوقت إذا جاءه الموت، وحين يطلب قليلا منه لتدارك ما فات، ولكن هيهات هيهات: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ (القصص:٩٩-١٠٠) وهكذا تنتهى هذه السورة كما انتهت سورة الضحى، وقد تركت فى النفس شعورين ممتزجين: الشعور بعظمة الود الحبيب الجليل الذى ينسم على روح الرسول (ﷺ) من ربه الودود الرحيم، والشعور بالعطف على شخصه (ﷺ)، ونحن نكاد نلمس ما كان يساور قلبه الكريم فى هذه الآونة التى اقتضت ذلك الود الجميل، إنها الدعوة هذه الأمانة الثقيلة، وهذا العبء الذى ينقض الظهر، وهى مع هذا وهذا مشرق النور الإلهى ومهبطه، ووصلت الفناء بالبقاء والعدم بالوجود(٢).

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى من حديث جابر عن رسول الله ص: فى أبواب الدعوات، باب:٦١ "مع تحفة الأحوذى" وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث أبى الزبير عن جابر.

(٢) يراجع: التفسير الواضح:٣/٦٦،٦٧، وتفسير فى ظلال القرآن:٦/٣٠/٣٩٢٩ -٣٩٣١ بتصرف.

الخاتمة

أهم النتائج المستخلصة من البحث:

١- سورة الانشراح هى من السور التى أظهرت أن للقرآن الكريم أسلوبه الخاص فى إيراد الألفاظ والتعبيرات وهو ذلك الأسلوب الذى لا يمكن مجاراته أو مداناته.

٢- إن معظم مقصود السورة بيان شرح صدر المصطفى (ﷺ)، ورفع قدره، وذكره، وتبديل العسر فى أمره باليسر، وأمره بالطاعة والرغبة إلى الله تعالى والإقبال على ذكره.

٣- بينت هذه الدراسة ارتباط السورة ببعضها، وارتباط الآيات ببعضها، واختيار الألفاظ دون مرادفاتها، وارتباط السورة بخاتمتها، وارتباط عدد آياتها بالمعنى المقصود منها، ومراعاة تعديد الأهم فالمهم، ومناسبة الفاصلة للمعنى المقصود.

هذا وأحمد الله أن منَّ عَلَىَّ، فوفقنى لكتابة هذا البحث المتواضع وأعاننى على إكماله، وأدعوا الله سبحانه أن يجعلنا خداما للقرآن الكريم، وأن ينفعنا به فى الدنيا والآخرة، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، ولا يفوتنى أن أشكر صاحب فكرة هذا البحث صاحب الفضيلة والأخلاق النبيلة **الأستاذ الدكتور/ أبو اليزيد حمامة** جزاه الله عنى وعن أمثالى من طلاب العلم خير الجزاء.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:

١. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لأبى عبدالله الحسين بن أحمد ابن خالويه، طبع جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد.
٢. الإتقان فى علوم القرآن: تأليف شيخ الإسلام جلال الدين عبدالرحمن السيوطى، مطبعة البابى الحلبى ١٣٩٥، طبع: دار عالم المعرفة.
٣. أحكام القرآن: لأبى بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربى، طبع: دار المعرفة، بيروت.
٤. البرهان فى علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى: تحقيق: الدكتور زكى محمد أبو سريع، طبع: دار الحضارة للنشر والتوزيع، وتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى ١٩٥٥ م.
٥. تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى: للإمام الحافظ محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى، مطبعة الفجالة الجديدة.
٦. تفسير أبى السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
٧. التفسير البيانى للقرآن الكريم للدكتوره عائشة عبدالرحمن بنت الشاطىء، دار المعارف مصر ١٩٦٦ م.
٨. تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للإمام القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبدالله أبى عمر محمد الشيرازى البيضاوى، وبهامشه: حاشية العلامة أبى الفضل القرشى الصديقى الخطيب المشهور بالكازرونى، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ومؤسسة شعبان للنشر والتوزيع بيروت.
٩. تفسير التحرير والتنوير: للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، طبع: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
١٠. تفسير الجلالين لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى، قدم له وعلق على حواشيه: محمد كريم بن سعيد الراجح، مكتبة النهضة بغداد.
١١. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل: لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن، الطبعة الثانية: ١٣٧٥ هـ - ١٤٢١ م.
١٢. تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، طبع: دار الغد العربى.
١٣. تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل، الطبعة الثانية:١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
١٤. تفسير القرآن العظيم: للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى: طبع مكتبة شاب الأزهر.

١٥. التفسير الواضح: للدكتور محمد محمود حجازى، الطبعة العاشرة: ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
١٦. تفسير جامع البيان للعلامة ابن جرير الطبرى، طبع دار المعرفة.
١٧. تفسير روح البيان لإسماعيل حقى البروسوى، دار الفكر.
١٨. تفسير فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير: تأليف محمد بن على بن محمد الشوكانى، طبع: دار المعرفة، بيروت.
١٩. تفسير مجمع البيان فى تفسير القرآن: للشيخ أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٠. تفسير نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى، صححه وعلق عليه: محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى، مكتبة ابن تيمية القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م.
٢١. تفسيرالمحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، طبع: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م.
٢٢. حاشية محيى الدين شيخ زادة على تفسير القاضى البيضاوى.
٢٣. خواطر دينية لعبد الله الغمارى، طبع: مكتبة القاهرة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
٢٤. الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطى، طبع: دار المعرفة، بيروت.
٢٥. درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافى، دراسة وتحقيق: محمد مصطفى آيدين، مطبعة جامعة أم القرى.
٢٦. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
٢٧. سنن ابن ماجة: للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى، طبع دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابى الحلبى.
٢٨. سنن الترمذى: لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة، طبع: دار الحديث القاهرة.
٢٩. صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، طبع: مؤسسة الرسالة.
٣٠. صحيح البخارى، طبع: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣،١٤٠٧هـ – ١٩٨١ م.
٣١. صحيح مسلم بشرح النووى. صفوة التفاسير، تأليف الأستاذ محمد على الصابونى، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٣٢. صفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف، مطابع دار الكتاب العربى مصر ١٩٩ م.
٣٣. علم المناسبات فى السوروالآيات للإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى، الطبعة الأولى:١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

٣٤. فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى، طبع المكتبة السلفية.
٣٥. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، تأليف: سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٦. فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م.
٣٧. كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه، عنى بنشره برجشتراسر، دار الكتاب العربى بيروت لبنان.
٣٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، تأليف: أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى، طبع: دار عالم المعرفة.
٣٩. لباب النقول فى أسباب النزول لجلال الدين السيوطى، مطبوع بهامش تفسير الجلالين، مكتبة النهضة بغداد.
٤٠. لسان العرب: للإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المعروف بابن منظور، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م، وطبع المؤسسة المصرية للتأليف والإنباء والنشر.
٤١. معانى القرآن: تأليف أبى زكرياء يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: الأستاذ محمد على النجار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤٣٢هـ -٢٠٠٢م، وعلم الكتب، بيروت ١٩٨٣ م.
٤٢. معانى القرآن وإعرابه: للزجاج، تحقيق: دكتور عبدالجليل عبده شلبى، طبع: دار الحديث القاهرة.
٤٣. معترك الأقران فى إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطى، تحقيق: على محمد البجاوى،مطبعة دار الفكر العربى.
٤٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، طبع: دار الحديث القاهرة، ودار إحياء التراث العربى بيروت لبنان.
٤٥. المعجم الوسيط، الطبعة الثانية.
٤٦. المفردات فى غريب القرآن: للعلامة أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، أشرف على طبعه د/أحمد محمد خلف الله، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، والمطبعة الفنية الحديثة، وطبع: بيروت.
٤٧. من أسرار التكرار فى القرآن لمحمد بن حمزة بن نصر الكرمانى، دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع.
٤٨. الموطأ للإمام مالك بن أنس.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	٤
المطلب الأول: بين يدى السورة:	٦
أولا: الترتيب المصحفي للسورة الكريمة	٧
ثانيا: ترتيب السورة حسب النزول	٧
ثالثا: كون السورة مكية أو مدنية	٩
رابعا: تسميتها	١٠
خامسا: أغراض السورة ومقاصدها :	١٢
سادسا: علاقة السورة بما قبلها وما بعدها.....	١٣
سابعا: الموضوعات التى اشتملت عليها السورة	١٨
ثامنا: الموضوعات التى اشتملت عليها السورة	١٩
المطلب الثانى: التفسير للسورة الكريمة	١٩
المطلب الثالث: المعنى العام للسورة الكريمة	٥٥
الخاتمة: أهم النتائج المستخلصة:	٦٠
أهم المصادر والمراجع	٦١
فهرس الموضوعات	٦٤